المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دائرة الشؤون الثقافية والنشر ـ
الجمهورية العراقية

٤

المجلد الثاني عشر ـ العدد الرابع ـ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م

WWW.ATTAWEEL.COM

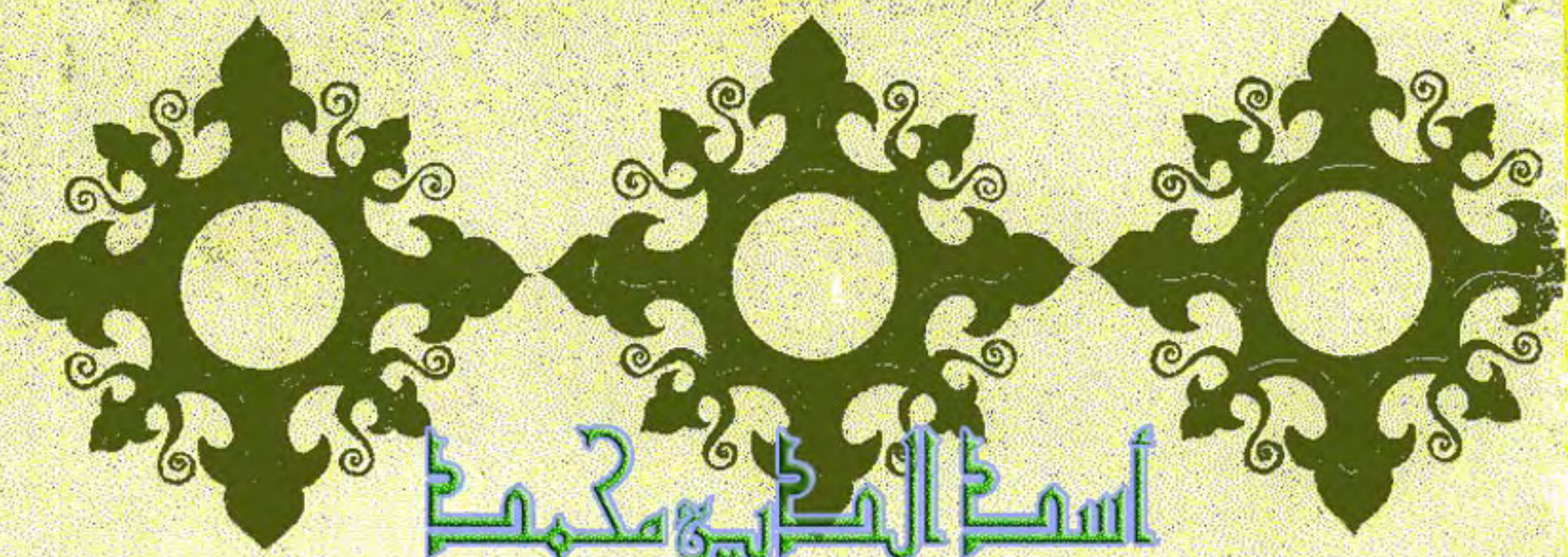

أسد الدين محمد

عدد خاص

الفكر العسكري عند العرب

كتـــاب

التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية

تاليف

محمد بن محمود منكلي المصري

المتوفى سنة (٧٧٨هـ/١٣٧٦م)

نقيب الجيوش في سلطنة الاشرف شعبان

تحقيق

صادق محمد الجميلي

بغداد ـ حي العدل

المقدمة

عني الكثيرون من أئمة الاسلام وقادة جيوشه وكتابه بالعلم الذي عرف عندهم بـ «علم الجهاد» لمكانة الجهاد في الاسلام ، فبحثوا فيه وصنفوا ، وواصلوا جهودهم في تدوين ما ورد فيه من الآيات القرآنية وتفسيراتها والاحاديث والاثار وما اليها ؛ فترى مدونات السنة وموسوعاتها تخصص بابا منفردا له ؛ أمثال الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والبيهقي والدارمي ومستدرك الحاكم وموطأ مالك وغيرها من كتب الحديث ، وكذلك كتب الفقه .

ونظرا لاهمية الجهاد في الاسلام الذي هو عموده ، وذروة سنامه ، فقد رغّب الله عز وجل عباده المؤمنين فيه ، وحثهم عليه ، ووعد المجاهدين في سبيله جنات عرضها السموات والارض .

وقد عرّف حاجي خليفة « علم الجهاد » بأنه: (علم يعرف به أحوال الحرب ، وكيفية ترتيب العسكر ، واستعمال السلاح ونحو ذلك ، وهو باب من أبواب الفقه ، يذكر فيه أحكامه الشرعية، وقد بينوا أحواله العادية ، وقواعده الحكمية في كتب مستقلة ، ولم يذكره أصحاب الموضوعات بلفظ ـ علم الجهاد ـ لكنهم ذكروه في ضمن علوم ، كعلم ترتيب العسكر ، وعلم آلات الحرب، ونحو ذلك . لكن الاولى أن يذكرها هنا)[1] .

وقد أفرد بعض المصنفين من علماء الاسلام « الجهاد » في مؤلف مستقل ، ومن هؤلاء نذكر منهم الى زمن المؤلف وهم :

١ ـ الامام عبدالله بن المبارك الحنظلي ، المتوفى سنة ١٨١ هـ . وهو أول من ألف في

(١) كشف الظنون : ج ١ ، ص ٦٢٢ .

WWW.ATTAWEIL.COM

« الجهاد »[2] كما في مصارع العشاق [العشاق][3] .

٢ ــ وثابت بن نذير النرسنبي المالكي ، المتوفى سنة ٣١٨ هـ[4] .

٣ ــ وأبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي . المتوفى سنة ٣٨٨ هـ[5] .

٤ ــ وأبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ[6] .

٥ ــ وأبو محمد قاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله ، المعروف بابن عساكر : المتوفى سنة ٦٠٠ هـ ، وهو والد أبي القاسم بن عساكر صاحب تاريخ دمشق الشهير[7] .

٦ ــ وعزالدين بن الاثير ، علي بن محمد الجزري المتوفى سنة ٦٣٠ هـ[8] .

٧ ــ وعماد الدين اسمعيل بن عمر المعروف بابن كثير ، الحافظ الدمشقي ، صاحب التفسير الكبير المعروف باسمه ، وتأريخه [البداية والنهاية] المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، وهو من معاصري ابن منكلي مصنف هذا المختصر ، كتبه للامير منجك لما حاصر الفرنج قلعة اياس[9] ، وسماه « الاجتهاد في طلب الجهاد »[10] .

٨ ــ وللمؤلف محمد بن محمود بن منكلي ، المتوفى سنة ٧٧٨ هـ مصنفات عدة في موضوع « الجهاد » منها هذا الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه ، والذي سماه « التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية »[11] . وهو مختصر لبعض كتبه العسكرية كما ذكره وسماه بالمختصر الوجيز .

المؤلف :

هو محمد الناصري الامير الفقيه بن محمود ابن منكلي المصري ، وقد قيل : العلمي والقاهري والناصري والشمسي . عالم بشؤون الحرب ، تولى نقابة الجيش في عهد السلطان الاشرف شعبان ، أحد سلاطين دولة المماليك الاولى بمصر ، والذي حكمها خلال السنوات (٧٦٤ ــ ٧٧٨ هـ) له جملة تآليف ، أغلبها في ميادين الجيش والحرب والسلاح ، توفي سنة (٧٧٨ هـ/١٣٧٦ م) وقيل سنة (٧٨٤ هـ/١٣٨٢ م) . ترجمته وأخباره في : (« كشف الظنون » ج١ ، ص ٥٠ ، ٣٨٢ ، ٨٩٠ ، ج٢ ، ص ١١٥٢ ، ١٨٨٥) ، (« هدية العارفين » ج٢ ، ص ١٧٢) ، (« بروكلمان » ج٢ ، ص ١٣٦) ، (« فهرس المكتبة البلدية : فهرس الرياضيات » ص ٧٦) .

(N. Ritter : der Islam XVIII 1929, 148)

(زيدان : « تاريخ آداب اللغة العربية » ج٣ ، ص ٢٧٦) ، (اغناطيوس كراتشكوفسكي : « حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي » ، ترجمة : كلثوم عودة ، ص ١٣٥ ــ ١٣٦ ، الرقم ١٩) ، (« معجم المؤلفين » ١٢ : ٨ ، ٥٣ ــ ٥٤) ،

---

(٢) وقد نشرت هذا الكتاب دار النور ــ بيروت سنة (١٩٧١ م/١٣٨١ هـ) ، تحقيق نزيه حماد ، ماجستير اداب في الشريعة الاسلامية ــ جامعة بغداد .
(٣) كشف الظنون : ج ٢ ، ص ١٤١٠ .
(٤) المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق .
(٦) ترتيب المدارك : ج ٤ ، ص ٦٠١ .
(٧) الرسالة المستطرفة : ص ٤٢ .
(٨) كشف الظنون : ج ٢ ، ص ١٤١٠ .
(٩) المرجع السابق : ج١ ، ص ١٠ .
(١٠) وقد نشر هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ . بعناية جمعية النشر والتأليف الازهرية ، ويقع في قرابة العشرين صفحة .
(١١) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون : ج١ ، ص ٣٨٢ . ولم يسم مؤلفه .

(د • عبدالرحمن زكي : « مراجع في تاريخ العرب الحربي » ص ١١ ــ ١٣) ، (كوركيس عواد : « الجيش والحرب والسلاح في الآثار المخطوطة والمطبوعة عند العرب » ص ١١٥) •

مؤلفاته :

جملة مؤلفات ابن منكلي في فنون الحرب وتنظيماتها وأدواتها والتعابي العسكرية وغيرها فيما يخص علم الجهاد • وقد أورد له معهد التراث العلمي العربي ــ جامعة حلب ــ ضمن ابحاث المؤتمر السنوي الثاني للجمعية السورية لتأريخ العلوم المنعقد بجامعة حلب في ٦ ــ ٧ ــ نيسان ــ ١٩٧٧ في كتاب طبع سنة ١٩٧٩ سبعة مؤلفات من تصانيفه بشرح واف عن كل منها ، وقد اعتمدناها في جملة مؤلفاته ، وذكر المؤلف نفسه في كتابه موضوع التحقيق « التدبيرات السلطانية » جملة منها ايضا أشار اليها أثناء العرض بما يناسب المقام ، وسنورد ما وقفنا عليه ، منها :

١ ــ «الاحكام الملوكية والضوابط الناموسية» :

وقد ألفه سنة ٧٧٨ هـ ، وهو يبحث في فن القتال ضمن (١٢٢) بابا ، توجد نسخة منه في الخزانة التيمورية في القاهرة تحت رقم(٢٣)،ونسخة أخرى في متحف القاهرة الحربي ، ونسخة ثالثة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٧٠٥ ــ فنون حربية) ولكنها ناقصة من اخرها ، اذ انها تنتهي في الباب العاشر بعد المائة ، مصور منها في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة • لم يذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » •

٢ ــ « الادلة الرسمية في التعابي الحربية » :

ويدور هذا الكتاب حول الشؤون العسكرية وضرورة اهتمام ولاة الامور بالتعبئة الحربية ، ووصية لامراء الجيوش ، ووصية للاجناد • ورد ذكر هذا الكتاب في « كشف الظنون : ج ١ • ص ٧٥ » و « بروكلمان » : ج ٢ • ص ١٣٦ • والنسخة الاصلية من المخطوطة موجودة في مكتبة أياصوفيا باستانبول تحت رقم (٢٨٧٥) وتقع في ٤٦ ورقة من الحجم المتوسط ، ومسطرتها ١١ سطرا ، كتبت هذه النسخة بخط نسخي من قبل محمد بن امام الفقير ، والمخطوطة مصورة في معهد المخطوطات العربية في القاهرة ، وفي خزائن مديرية التراث القديم في وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق تحت رقم (ف ١١٨١) •

٣ ــ « الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب » :

يقول مؤلفه : انه ترجم عن اليونانية وهو يضم (٣٩) بابا تبحث في أنواع الحرب ومكائدها والاحتراس من العدو ، وكيفية مخادعته ، وعمل الآلات والاسلحة ، وكل ذلك موضح بالرسوم والاشكال • ذكره بروكلمان (ج ٢ ، ص ١٣٦) ، وهناك نسخة منه في مكتبة احمد الثالث باستانبول تحت رقم (٣٤٦٩) وتمت كتابتها سنة (٧٥٧ هـ) في (١٣٥) ورقة ، كما توجد نسختان اخريان منه في خزانة أيا صوفيا تحت رقم (٣٠٨٦ ، ٣٠٨٧)• وأخرى في ليدن تحت رقم (٤٩٩) ، وهو مصور في معهد المخطوطات العربية تحت رقم (٦٧٢) • لم يذكره حاجي خليفة في كشف الظنون •

٤ ــ « الرسالة المرضية في صناعة الجندية » :

ورد ذكر هذه المخطوطة في مخطوطته الاخرى « الادلة الرسمية » • وذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون : (ج١ ص ٨٩٠) ــ مجهول المكان ــ •

٥ ــ « فن الحرب » :

ويتحدث فيه مؤلفه عن سياسة الصنائع

الحربية ، ذكره في بعض مؤلفاته ، ولم يذكره صاحب كشف الظنون ــ مجهول المكان ــ •

٦ ــ « المنهل العذب لورود أهل الحرب » :

وهو يختص بكيفية ترتيب المحاصرين ، ذكره المؤلف في مخطوطته «التدبيرات السلطانية»، وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون : (ج ٢ ، ص ١٨٨٥) ــ مجهول المكان ــ •

٧ ــ «أقصى الامد في الرّد على منكر سرّ العدد»:

وهو يبحث في « علم العدد » ويقول مؤلفه عنه : انه علم شريف أغفله الناس ، وأنكره بعضهم وأدلته مؤيدة بالكتاب والسنّة وأقوال علماء هذا العلم الشريف ، ذكره المؤلف في مخطوطته « التدبيرات السلطانية » ، وحاجي خليفة في كشف الظنون : (ج١ ، ص ١٣٧) ــ مجهول المكان ــ •

٨ ــ « العقد المسلوك فيما يلزم جليس الملوك » :

وهو مؤلف يبحث في علم الفراسة والقيافة ، ذكره المؤلف في مخطوطته «التدبيرات السلطانية»، وذكره صاحب كشف الظنون : (ج٢ ص ١١٥٢) ــ مجهول المكان ــ •

٩ ــ « التعابي القسريّة » :

وهو كتاب يبحث في أنواع التعابي العسكرية ذكره المؤلف في مخطوطته «التدبيرات السلطانية»• ولم يذكره صاحب كشف الظنون ــ مجهول المكان ــ •

١٠ ــ « رسالة التحقيق في سرعة التفويق » :

وهذه المخطوطة تعقيب في فن التفويق على كتاب « الافادة والتبصير لكل رام مبتد وما هو نحرير » للاستاذ جمال الدين عبدالله بن ميمون • ذكرها المؤلف في « التدبيرات السلطانية » ولم يذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون ــ مجهولة المكان ــ •

١١ ــ « الدرّ الثمين في أحوال المتقدمين » :

وهو يتحدث في اخلاق الجند والفرسان ، ذكره المؤلف في « التدبيرات السلطانية » ولم يذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ــ مجهول المكان ــ •

وصف نسخة المخطوطة :

وكتاب ابن منكلي هذا سماه « التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية »[١٢] ينشر الان لاول مرة • وقد اعتمدت في تحقيقه على نسخة المجمع العلمي العراقي المحفوظة تحت رقم (٦٤٦) السلاح ــ الحرب ــ الجيش ــ الفروسية • وهي نسخة مصورة بالفتات عن نسخة خطية في دار الكتب المصرية بالقاهرة ، والمحفوظة فيها تحت رقم (١١٤٧ ب) ، والبالغ عدد أوراقها (٧١) ورقة ، ومسطراتها (١٥) سطرا ، مكتوبة بخط نسخي عاد واضح ، وهامشها عريض كتبت فيه بعض التعليقات والاستدراكات لعل قسما منها من وضع الناسخ أو من أملى عليه نسخها وأشار الى مواقعها بأسهم على سبيل الشرح والتوضيح ، وقسما اخر لعله ما نقص من بعض السطور بعد مقابلة الناسخ لها بالأصل بعد النسخ •

وموضوعها يدل عليه اسمها ، تناول فيه مؤلفه « التنظيم الحربي » وما يعرف اليوم بـ « التكتيك الحربي » ، وأورد في مؤلفه ايضا كثيرا من النقولات والنصوص والاراء ممن سبقه في هذا العلم من المصنفين ، ولما كان المؤلف ممن تقلد

---

(١٢) في نسخة اخرى « الصنائع » .
ذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » ج١ ، ص ٣٨٢ . راجع بشانه « تذكرة النوادر من المخطوطات العربية » ص ١٤٨ .

مناصب عسكرية مهمة منها نقابة الجيش في سلطنة الاشرف شعبان اكتسب من خلالها كثيرا من التجارب في فن الحرب وتنظيماته ، فهو لم يكتف بما تعلمه ودرسه نظريا وعمليا وانما أشبع مؤلفاته العسكرية بآرائه الخاصة وتجاربه العملية وما اكتسبه من خبرة ودراية في هذا الفن ، وكان يعرض بضاعته ويبدي اجتهاده فيه مسبوقا بما يصف نفسه تارة بـ « الداعي » واخرى بـ «القن» أو « المملوك » ، أو قال العبد الفقير الى الله ويسمي نفسه ، أو قال الفقير مؤلف هذا المختصر ، او قال محمد بن منكلي ..

والمؤلف رغم كونه من رجال الجيش وقد اكتسب خبرة في فنون القتال فهو لم يتجرد من كثير من المعتقدات التي اتسم بها المجتمع الاسلامي في جميع أقطاره وفي عصوره المظلمة كالايمان بالرقى والطلاسم والتعاويذ وأوجدوا في ذلك ما يسمى بعلم سرّ الحروف والعدد وجعلها المؤلف من مهمات التدبيرات السلطانية ومن المسلمات التي جربها الملوك قديما فنفعتهم ، وكانوا يخزنون بها على خواصهم وهي سر انتصارهم في الحروب !!..

والمخطوطة كثيرة الاخطاء النحوية والاملائية وهذا يشير الى أن ناسخها يجهل ذلك ، ولم يكن كثير التدقيق أثناء ضبط الحروف بالشكل ، وقد أشكل كل حرف على غير هدى كأنما الغاية من وضعها تنسيق الصفحة وتزويقها لتظهر جميلة متناسقة . كما كثرت فيها الالفاظ والمصطلحات الاعجمية وأدخل فيها كثيرا من لغة العوام وهي أقرب ما تكون الى العامية العراقية . ومن خصائصها ان الناسخ ينقط الالف المقصورة في أغلب الاحيان ، ويهمل تنقيط الياء الاخيرة ويكتب الالف الممدودة مقصورة وبالعكس ، كذلك يهمل الهمزة في التعيئة وأمثالها ويقلبها الى ياء ويثبتها في غير موضعها ، وتارة يكتب تاء التأنيث المربوطة تاء ممدودة وبالعكس أو يكتب التائين في الكلمة الواحدة اذا تكررت أمثال : الحياة والرماة وحماة يكتب في مواضع اخرى بالتاء الممدودة فتكون بهذا الشكل : الحيات والرمات وحمات . فصححنا كل هذه الاخطاء ولكننا تجاوزنا الاشارة الى مواضعها لكثرتها وليس بالمقدور حصرها .

وقد حاولت جهدي أن أتقيد بالنص فلا أحيد عنه اذ غاية المحقق الناشر أن يثبت الاصل كما هو . واذا كان ولابد من اصلاح كلمة نراها من خطأ النساخ او جهلهم فأشرت الى شكلها الاصلي حين تغييرها . وقد كنت الاحظ هنا وهناك ان المعنى لا يستقيم الا بزيادة كلمة لعلها سقطت من الاصل فكنت أضيف الى هذه الكلمة وأضعها بين هلالين معكوفين بهذا الشكل [ ] .

وفي المخطوطة خرم في موضعين لعل بعض الاوراق سقطت منها وقد أشرت اليه في مواضعه بسطر من النقاط حصرته بين هلالين بهذا الشكل : (.....) . وهي ايضا لم تسلم من التصحيف والتحريف ، وقد نبهت على كل ذلك في موضعه المناسب .

والمخطوطة لا يوجد عليها اسم ناسخها ولا تاريخ النسخ ، وقد كتب في آخرها « ... وقد انتهى الوارد لاتم المقاصد بعون الله وتأييده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق ، المختتم بدعوته ، المؤرخ بهجرته ، وعلى آله وعترته ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

نسخت النص من الاصل الذي ذكرته ، ثم قومت ما استطعت تقويمه ، وضبطته وأشرت الى

بعض ما غمض وأشكل ، وشرحت بعض ما دق وغمض من الفاظ الروايات وعباراتها ؛ وفسرت غريبها ومصطلحها ، وقد وجدت بعض عباراتها لا تستقيم مع سياق الكلام فأبقيتها كما هي لحرصي على تثبيت الاصل والحفاظ على النص .. ورغم ان الكتاب قد تناول جوانب عدة في فنون الحرب وتنظيماتها الا آنه يخلو من العناوين لموضوعاته والاسماء لفروعه ، فوضعت لكل جانب من هذه الجوانب اسما وعنوانا اقتبسته من أبرز عبارة يتحدث عنها حتى اذا ما انتقل الى موضوع آخر عنونته بما يناسبه وقد وضعته بين هلالين معكوفين بهذا الشكل [ ] ليسهل على القارىء التعرف عليه والاحاطة بموضوعاته .. وآلزمت نفسي عند النقل من أي مرجع او الاستفادة منه الاشارة الى رقم جزئه وصفحته ، ابتغاء الامانة في النقل ؛ والدقة في العزو ليتمكن القارىء من مراجعته دون عنا ...

نسخ المخطوطة(١٢)

اما النسخ الخطية من هذه المخطوطة فتوجد في :

---

(١٢) سجل المخطوطات في مكتبة المجمع العلمي العراقي .

— المتحف الحربي بالقاهرة (برقم ٣٧٩) .

— خزانة كتب جامعة القاهرة (مصورة ، برقم ٢٦٣٣٧) .

— خزانة كتب آيا صوفيا باستانبول (برقم ٢٨٥٦) : (« بروكلمان » ذ ٢ : ١٦٧) .

— خزانة كتب المتحف البريطاني ـ لندن (برقم ٨٢٢) ، مؤرخة ١١ صفر سنة ٨٩٥ هـ .

— خزانة كتب جامعة لينينغراد « بطرسبرج » (برقم ٧٦٢) . راجع !!

(Les Manuscrits Arabes, Décrits par Baron V. Rosen 1877. 161-164 N 123).

— وعن نسخة لينينغراد هذه ، نقل الشيخ محمد عيّاد الطنطاوي ، نسخة بيده ، في ٣٦ ق . جاء في اخرها : « وقد انتهى الوارد لاتم المقاصد بعون الله وتأييده والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الى يوم الدين ، على يد كاتبه محمد عياد الطنطاوي غفر له ...في بتربورغ يوم السبت ٥ ذي الحجة الحرام ختام سنة ١٢٥٨ من هجرة من له العزّ والشرف ، عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام » .

★

WWW.ATTAWEEL.COM

[النص]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبيه اشرف المرسلين :

الحمد لله وارحم العباد الهادي الى سبيل الرشاد الذي احسن لمن كثر لحرب المشركين سواد قاصم الكفرة الفجرة اهل البغي والعناد واعزّ جنده، وبيض وجوههم بين العباد ، قاتلوا بالله ولله ومن دونهم حموا(١) البلاد ؛ وصلى الله على سيدنا محمدالهادي بشريعته لكل سداد ، وعلى آله وعترته واصحابه ذوي النجدة الافذاذ(٢) وتابعيهم ما سار فارس وقطع واد .

اما بعد : فان الزناد الواري اقتبس من فيض الهي نورا يتلالا بكل برق ساطع على كل ذي يقظة متبصر ، ملهم الخير بوجهه لامع ، ولعله ان يمن بتامله ما اودع هذا المختصر الوجيز الذي حاز بسعد مولانا السلطان(٣) كل فن عزيز ، وانا معرضه على ذوي العلوم النافعة والافهام البارعة ، وسميت هذا الكتاب المبارك : « التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية » وانا اسال الله تعالى ان يكون تاليفي لهذا الكتاب وما الفته قبله خالصا لوجه الله الكريم انه ولي التوفيق والاعانة ، وهو حسبي ونعم الوكيل ؛ وقصدت ان يكون تذكرة للمسامع المصونة ، جعل الله تعالى سعوده في أوج فلكها سامية ؛ وسهام رمايته في نحور اعدائه دامية ، ورتب الداعي هذا الكتاب على قضيتين احداهما ما يسمع من التدبيرات السلطانية ، والاخرى ما تبرزبه الاوامر الشريفة انقذها الله تعالى بالاشتغال بالصنايع الحربية للاجناد الاسلامية ، وان كانوا مشتغلين بذلك فيشرفوا بامر المالك ، ويرتقوا لاسنى المسالك . قال العلماء : « افضل الكلام اصدقه وانفعه ، واشرف البيان اسبقه الى الفهم واسرعه » .

حكي ان الخليفة المأمون ــ رحمه الله ــ قال : « رايت في المنام رجلا على الهيئة التي يوصف بها الحكماء ، فخيل الي انه ارسطاليس(٤) فتقدمت اليه ، وسلمت عليه ، وقلت له : ايها الحكيم !! ما خير الكلام ؟ فقال : ما يستقيم في الراي ! قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما بذل قليله على كثيره ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما لا تخشى عاقبته ! قلت : ثم ماذا ؟ قال : لا شيء ! » .

ويبتدا الان بالاهم من التدبيرات السلطانية ، فمن ذلك ما صح عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ انه كان يقول عند لقاء العدو : (اللهم انا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم !) (٥) . خرجه ابو داود والنسائي ــ رضي الله عنهما ــ وعنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ انه كان يقول عند لقاء العدو :

---

(١) في الاصل : حشو .

(٢) في الاصل : الافراد .

(٣) هو الملك الاشرف شعبان سلطان المماليك ١٣٦٣ م . توصل الى الحكم وهو في العاشرة ، رد الاسطول القبرصي الذي ارسله في دي لوسينيان لمساعدة سفن جنوة والبندقية١٣٦٦ م ، عرف بحلمه ، مات مخنوقا . (المنجد في الاعلام) .

(٤) ارسطوطاليس (٣٨٤ ــ ٣٢٢ ق . م) مربي الاسكندر ، فيلسوف ومفكر وحكيم يوناني . له مؤلفات في المنطق والطبيعيات والالهيات والاخلاق ، نقلها الى العربية عن السريانية اسحق بن حنين . (المنجد في الاعلام) .

(٥) من حديث رواه ابو داود باسناد صحيح ، عن ابي موسى الاشعري ، ان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان اذا خاف قوما ، قال : « اللهم انا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم !! » . (رياض الصالحين ــ كتاب الجهاد) .

WWW.ATTAWEEL.COM

(يا مالك يوم الدين ! اياك نعبد ؛ واياك نستعين !)(٦)ومن شعاره(٧) قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقت الحرب : (حم لا ينصرون !)(٨) قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ : « فلقد رأيت الرجال تصرع ، تضربها الملائكة من بين ايديها ومن خلفها » .

١ [علم التصرف بالاسماء الالهية]

■ ومن التدبيرات السلطانية ، علم التصرف بالاسماء الالهية ، من ذلك (كبير منوال) ـ جل جلاله وتقدست اسماؤه ـ من اكثر من ذكر هذا الاسم العظيم فتح الله عليه بسر معناه . فتخضع له المخلوقات من سائر العوالم ، وقوي تصرفه في الوجود ، وحفظه الله تعالى من الآفات ، ودفع عنه ما يكره .

ومن ذلك الاسم (المؤمن المهيمن) : من نقش حروفهما في فص خاتم من ذهب وحمله على ذكر كان له ستر او حجاب من الاعداء .

ومن ذلك الاسم (الملي العظيم) من وقفهما في خاتم من ذهب وبخره بعود وعنبر ، وحمله معه فانه صالح للملوك ، وقد كانت الملوك تتخذه من بعد السفاح(٩) فتثبت ملكهم . وانبهلت قدرتهم . وقد قيل للخليفة المامون ـ رحمه الله ـ : كيف بك اذا اتتك ملوك فارس ؟ فأخرج يده بخاتم فيه الاسمان موقفان ، قال القن(١٠) : ويكون ذلك واضع ممن يحسن العمل .

ومن ذلك الاسم (المحيي) ـ جل جلاله وتقدست اسماؤه ـ من داوم على ذكره حيي قلبه ، وعظمت قواه ، وتظهر قوة روحه في جسمه . وأما ماجربه الداعي لقوة الروح وسريانها في الجسم فتلاوة الآية الكريمة التي في آخر الفتح ، قوله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما)(١١) . قراءة صحيحة بالافصاح عن الذال المعجمة والدال المهملة . وقد جربت هذه الآية الكريمة قديما وحديثا لقوة الارواح وسريانها في الاجسام ، ووالله العظيم !! لقد تلوتها في وقت لطلب القوة فسمعت بأذني حركة في باطني ، وهي بحمد الله تعالى عمدتي في وهن مظلمي واشتعال

---

(٦) عن محمد بن عبيد ، قال : حدثنا معاوية عن ابي اسحق عن ابي رجاء ، قال : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : اذا اشتدت حلقة البلاء ، وكانت الضيقة :« لضيقي تفرجي » ثم يرفع يديه فيقول : « بسم الله الرحمن الرحيم !! لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم !! اللهم اياك نعبد ! واياك نستعين ! اللهم كف عنا باس الذين كفروا ، انك اشد باسا واشد تنكيلا !! » فما يخفض يديه المباركتين حتى ينزل الله النصر . (عيون الاخبار ، لابن قتيبة ـ كتاب الحرب) .

(٧) الشعار ـ ككتاب ـ العلامة في الحرب والسفر يتعارفون بها . او هي كلمة السر عند المسلمين في الحرب . عن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال . « كان شعار المهاجرين :عبدالله ، وشعار الانصار : عبدالرحمن » . رواه أبو داود (التاج : ج ٤ ، ص ٢٧٢) .

(٨) من حديث رواه اصحاب السنن بسند صالح عن المهلب بن ابي صفرة ، قال : اخبرني من سمع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « ان بيتم فليكن شعاركم !! حم لاينصرون » . اي : ان جاء العدو لقتالكم ليلا واختلطتم به في الظلمة ، فليكن شعاركم : حم فانهم لا ينصرون . او المراد: اللهم لا ينصرون !! وهو خبر لادعاء . (التاج : ج٤ ، ص ٢٧٢) .

(٩) هو ابو العباس السفاح اول العباسيين (٧٥٠-٧٥٤م)

(١٠) القن : ما يصف به المؤلف نفسه تواضعا ، وتعني : عبدملك هو وابواه ، وهو بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع ، وقد يجمع على القنان والقنة . والقنانة اوالقنونة : العبودية . (المنجد في اللغة والمختار من الصحاح).

(١١) سورة الفتح الاية : ٢٩ .

شيبتي ، قال الفقير مؤلف هذا المختصر : من شك في تأثيرات اسماء الله تعالى وتصرفاتها في الوجود ، فقد أبان عن جهله وضعف يقينه وحرم بركتها ووقع في الكفـر ..

٢ [علم سر الحروف]

■ ومن التدبيرات السلطانية ، علم سـر الحروف ، فان علم ذلك من جملة مهمات التدبيرات السلطانية . فمن ذلك مما جربه الملوك قديمـا ، وكانوا يضنون به على خواصهم ، وهو من الاسرار التي يتعين كتمها ، وهو اذا كانت الحرب فليتقدم السلطان ـ نصره الله ـ ويخط برمحه بعد التسمية هذه الحروف (ا ب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ ، ويخلي مكان حرف (ش) لا يخطه ويقف فيه ،أعني مكان حرف (ش) ولتكن احرفا كبارا ، ولا يطمس حرفا مفتوحا (كالهاء والميم والفاء والقاف)ففي ذلك سر عظيم ، وقد اغفله الناس لاشتغالهم بما هو غير الاولى ، وان امكن منهم يكـون حين الوقوف في مكان الحرف المشار اليه احد ممن في حروف اسمه حرف (ر) فليقف عن يمين السلطان،ويقف على اليسار من يكون في اول حروف اسمه (حرف آ (ت) ففي هذا الترتيب سران لطيفـان واضحان عجيبان ، وذلك ان حرف (ش) حرف حار عند اهل المشرق ، وعند اهل المغرب ممن يعتقدمنهم ان حرف (ش) رطب وهو خطا فاحش لا حقيقة له ؛ والصحيح ان حـرف (ش) حـار ،وحرف (ر) رطب ، وحرف (ت) بارد ، فكان الحار بين بارد ورطب في المفرد الشرقي ، وهـذا سعد اتفاقي بحمـد الله تعالـى (لا اله الا هو) مصـداق ذلك ، وذلك ان اول حروف الاسـم المحروس (ش) وآخره (ن) والنون بارد ، فلأجل ذلك من الله تعالى على الرعية والجهلة من اصحاب الجرائم ومرتكبي المآثم بالحلم والصفح الجميل .

قال الداعي : واما اصحاب الحروف هم على اليمين والشمال فلا بد وان يكونا(١٢) ممن يدري صناعة الحرب ، وان يكونا نصحاءهما . وليعلم ان شروط الجهاد سبعة : الاسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والحرية ، والذكورية ، والصحة ، والطاقة للقتال ،ويشترط فيهما امور اخر ، احدها : ان يكونـا شجعانا ، وان لا يباشران الحرب بانفسهما بـل شانهما الوقوف مشرفين بملازمة الحضرات السامية وكونهم شجعانا : لئلا يظهر عليهم عند رؤية القتال هلع فلا يصلح حينئذ ..

٣ [علم العدد]

■ ومن التدبيرات السلطانية ـ صانها الله ـ علم العدد ، والداعي فيه تاليف عجيب فانه علم شريف اغفله كثير من الناس ، سميته « اقصى الامدفي الرد على منكر سر العدد » وادلته كلها مؤيـدة بالكتاب والسنة واقوال علماء هذا العلم الشريف .ومن بعض ما جربه الفضلاء قديما وجربه الفن .. انني كتبت مرارا على ورم حار ثمانية حاءات هكذا(ح ح ح ح ح ح ح ح)فزال الورم بقدرة الله عز وجل ، وجربت ماقاله الشيخ الامام ابو الحسـن الجزالي ـ رحمه الله ـ وهو : من كتب على قربة وقت مخضها لاستخراج الزبد سبعة زايات هكذا(ز ز ز ز ز ز ز) فان الزبد يكثر في تلك القربة ؛ فصح ما قاله ـ رحمة الله عليه ـ وقال غير ذلك من المجربات الصحيحة ، وهذه الرسالة لا تحتمل الاطالة ..

٤ [ما يكتب على البيض وقت الحرب]

■ ومن التدبيرات السلطانية ، وما يكتب على البيض ـ يعني الخوذة ـ وقت الحرب . وهو من

---

(١٢) ان المؤلف يشير الى جماعتي اليمين والشمال .

ذخائر الملوك المضنون بها : يكتب على خوذة حرف (ا) بقلم غليظ ، ويكون الكاتب صائما وعلى وضوء كامل ، ويكتب بعده (الله) .. ثم يكتب على الخوذة الثانية حرف (ب) وبعدها (بارىء ، بديع ، باعث) .. ثم يكتب على الخوذة الثالثة حرف (ت) وبعدها (تواب) .. ثم يكتب على الخوذة الرابعة حرف (ث) وبعدها (ثابت) .. ثم يكتب على الخوذة الخامسة حرف (ج) وبعدها (جبار ، جميل ، جواد) .. ثم يكتب على الخوذة السادسة حرف (ح) وبعدها (حي ، حق ، حكيم ، حاكم) .. ثم يكتب على الخوذة السابعة حرف (خ) وبعدها (خبير ، خالق ، حافظ) .. ثم يكتب على الخوذة الثامنة حرف (د) وبعدها (داع ، دافع ، دائم) .. ثم يكتب على الخوذة التاسعة حرف (ذ) وبعدها (ذارىء ، ذاكر ، ذو الجلال) .. ثم يكتب على الخوذة العاشرة حرف (ر) وبعدها (رحمن ، رقيب ، رشيد) .. ثم يكتب على الخوذة الحادية عشرة حرف (ز) وبعدها (زايد الشاكرين) .. ثم يكتب على الخوذة الثانية عشرة حرف (س) وبعدها (سميع ، سيد ، سريع الحساب) .. ثم يكتب على الخوذة الثالثة عشرة حرف (ش) وبعدها (شهيد ، شديد ، شاف) .. ثم يكتب على الخوذة الرابعة عشرة حرف (ص) وبعدها (صمد ، صادق ، صبور) .. ثم يكتب على الخوذة الخامسة عشرة حرف (ض) وبعدها (ضار) .. ثم يكتب على الخوذة السادسة عشرة حرف (ط) وبعدها (طيب ، طاهر) .. ثم يكتب على الخوذة السابعة عشرة حرف (ظ) وبعدها (ظاهر) .. ثم يكتب على الخوذة الثامنة عشرة حرف (ع) وبعدها (عزيز ، عظيم) .. ثم يكتب على الخوذة التاسعة عشرة حرف (غ) وبعدها (غالب ، غفور) .. ثم يكتب على الخوذة العشرين حرف (ف) وبعدها (فرد ، فاطر) .. ثم يكتب على الخوذة الحادية والعشرين حرف (ق) وبعدها (قدير ، قوي ، قهار) .. ثم يكتب على الخوذة الثانية والعشرين حرف (ك) وبعدها (كبير ، كاف) .. ثم يكتب على الخوذة الثالثة والعشرين حرف (ل) وبعدها (لطيف) .. ثم يكتب على الخوذة الرابعة والعشرين حرف (م) وبعدها (ملك ، مالك ، مهلك) .. ثم يكتب على الخوذة الخامسة والعشرين حرف (ن) وبعدها (نور ، ناصر ، نافع) .. ثم يكتب على الخوذة السادسة والعشرين حرف (هـ) وبعدها (هاد ، هازم الاحزاب) .. ثم يكتب على الخوذة السابعة والعشرين حرف (و) وبعدها (واق ، واحد) .. ثم يكتب على الخوذة الثامنة والعشرين حرف (ي) وبعدها (يقبض ، يبسط) .. وتكون الحروف احرفا كبارا ، كل حرف بطول شبر ، فاذا تقدمت المقاتلة للحرب يختار ثمانية وعشرون فارسا ، وعلى رؤوسهم هذه الخوذ المذكورة المباركة ، ويكونون اعلم الجمع بترتيب الحروب ، وعالمين بالتعابى الحربية والشجاعة ، ناصحين للملك ، فيضعون الخوذ على رؤوسهم على ترتيب الحروف ، مثال ذلك : يضع من يختار اول حرف اسمه (ا) الذي على الخوذة ، ثم الخوذة التي عليها حرف اسمه (ب) وهكذا على الترتيب الحرفي ، وان اتفق ان يكون من الجماعة من في أول حروف اسمه (ب) فليضع على راسه الخوذة التي عليها حرف ب كذلك [illegible] وهكذا بشرط الصفات المذكورة اولا بمن يعلم صناعة الحرب مع الشجاعة . ولقد رايتا ممن يعلم بعض صناعة الحرب فاذا دارت عليه رحى الحرب ضاعت منه الصناعة . نسأل الله الستر الجميل في المقام والرحيل بمنه وجوده وكرمه !! .

اللهم انا قد عجزنا عن دفع الضر عن انفسنا من حيث نعلم بما نعلم ، وكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم ؟!! وقد امرتنا ونهيتنا ، والمدح والذم الزمتنا ..

---

(١٣) يكتمر : هو خضر بن عمر الساقي ، من قواد الملك المنصور بن السلطان الملك الاشرف . (النجوم الزاهرة : ج ١١ ص ٢٤٥) .

(١٤) تمربغا : هو تمربغا الافضلي المدعو منطاش الذي خرج على الملك الظاهر برقوق مع الامير بلبغا الناصري ودفع بينهم حروب . (النجوم الزاهرة : ج١١ ، ص ٢١٩) .

٥ [معرفة القواعد الشرعية]

■ ومن التدبيرات السلطانية ، معرفة القواعدالشرعية والضوابط الناموسية واحكام المبارزة للمقاتل .

فلا يجوز لمبارز ان يبارز الا باذن السلطان اوباذن نائبه ، ومن بارز بغير اذن الامام وقتل فليس بشهيد بل هو عاص .

٦ [اقتناء المضمرة من الخيل]

■ ومن التدبيرات السلطانية للامراء وللجنديالمقوي(١٥) اقتناء المضمرة(١٦) من الخيل الجياد السامية ، وفي كل زمان ، صيفا وشتاء لما يحدثمن المهمات السلطانية ، وهو من لوازم التدبيرات السلطانية .

٧ [اعداد القوة]

■ ومن التدبيرات السلطانية ، ان السلاح لايفارق الجندي ... والاكثار من النشاب(١٧) في الخزائن ، واقل ما يمكن ان يكون الف الف [مليون]فردة مفتحة الأفواق(١٨) في كل خزانة .

٨ [ما يكتب على السهام]

■ ومن المهمات السلطانية ما يكتب علىالسهام ويرمى به على العدو ، ويكتب على النصول(١٩) كل منهم (ث خ ج ز ش ظ ف) . قال الاستاذ ابو العباس البوني(٢٠) ــ رضي الله عنه ــ : ومن كتب (بادىء ، مصور) في جام زجاج بزعفرانومحا الكتابة بماء ورش به آلة الحرب من سهام وقسي(٢١) ورمى بها ، فانها تكون سريعة الاصابةوالنكاية بقوة الله تعالى وقدرته . وقال ــ رحمه الله ــ : ومن ذكر هذين الاسمين العظيمين (ظاهر ،باطن) تسعمائة مرة يكتب خاصيتهما وهو تشجيع القلوب يوم الحرب بقوة الله وتاييده . وقال ــ رحمه الله ــ : ومن نقش على خوذة(٢٢)او منصفح ــ يعني على صفائح قرقل(٢٣) ــ هذه الاسماء(رؤوف ،منان ،كريم) في ساعة المشتري والشمس

---

(١٥) كذا الاصل .

(١٦) المضمرة : والصحيح هو الضمر والضوامر : جمعضامر ، وهو الفرس الهزيل الخفيف اللحم .

(١٧) النشاب : السهم ، وكذلك نشابة : جمع نشاشيب ،وهي السهام . والناشب : صاحب النشاب . والنشاب : متخذ النشاب والرامي بها ، فيقال : « رجل نشاب »و « قوم نشابة » اي رماة بالنشاب .

(١٨) الفوق : جمع فوق والفواق : وهو مشق راس السهمحيث يقع الوتر . والفوقة : جمع فوق وفقا : وهو موضع الوتر من راس السهم .

(١٩) النصل : جمع نصول ونصال ، ونصل السهم والسيفوالسكين والرمح : حديدته .

(٢٠) هو محي الدين ابو العباس ، احمد بن علي بن يوسفالبوني ، متصوف اشتغل بالتصنيف في علوم الطلسمات واسرار الحروف واشتهرت مؤلفاته وتداولتها ايدي العامة واهمها« شمس المعارف الكبرى » ويعرف كذلك باسم « شمس المعارف ، ولطائف الموارف، في علم الحروف والخواص»وله « مواقف الغايات في اسرار الرياضيات » و « فضل باسم الله الرحمن الرحيم » و « شرح اسم الله الاعظم »توفي بالقاهرة عام (٦٢٢ هـ/١٢٢٥ م) . ولعل المؤلف استقى كثيرا من هذه العلوم من مؤلفاته على ما يبدو . (القاموسالاسلامي ، احمد عطية الله : ج١ ، ص ٢٩٧) .

(٢١) القوس ، يذكر ويؤنث : والجمع قسي واقواس وقياس .
والقوس : من آلات الحرب القديمة ، تقوس على هيئةجزء من دائرة بالوتر لترمى بها السهام .

(٢٢) الخوذة : جمع خوذ ، وهو ما يجعله المحارب على راسهليقيه الضربات .

(٢٣) القرقل : الجمع قراقل ، وهو القميص او الثوب الذيلاكم له .

في القوس إلا يزاح الضرب عنه يمينا وشمالا ـ بعون الله تعالى وقدرته وارادته ـ وهو من أعمال بني امية في الحروب .

قال العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن منكلي : لا يكون ذلك الا مدخرا ليوم الحاجة الى ذلك ، ولا يعمل بذلك للتجربة فان الامور مرهونة بأوقاتها .

٩ [ما يكتب لخراب الحصون]

وقال رحمه الله [يعني البوني] ما يكتب لخراب الحصون التي للكفار من غير قتال : يكتب في شقفة[٢٤] من مسقاة دجاج قد شربوا منها ، ثم يتلو قوله تعالى : (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار)[٢٥] ، ويكتب (ا ب ت ث ج) الى اخرها يبتدىء بالياء الى الالف وتكون الكتابة مقلوبة فاذا فرغت الكتابة من على الشقفة المذكورة تسحق الشقفة بعد جفاف الكتابة وتذر في مكان في الحصن التي للكفار ، وقد جربه ملوك بني امية .

ومن مجربات القدماء : يؤخذ جرو[٢٦] نمر وجرو كلب ويخلطان حتى لا يتميز احدهما عن الاخر ويوضع خفية في حصن الكفار او في ربضهم فان القتال يقع بينهم بقدرة الله تعالى .

وقال ـ رضي الله عنه وأرضاه[٢٧] ـ ما يكتب لهدم سور العدو المخذول : يكتب في ورقة سيسبان[٢٨] وتكون الورقة خضرة ، ويتلو عليها هذه الاسماء المعظمة سبعة الاف مرة ، وتدفن تحت سور العدو المخذول ، فان الله تعالى جلت قدرته يحل بالعدو هدم سورهم ان شاء الله تعالى ، وهذه الاسماء هي (الشديد ، ذو القوة المتين ، السريع ، الرقيب ، المقتدر ، القادر ، الوارث ، الباعث ، الشهيد) .

١٠ [ما يكتب لحفظ الفرس ولانهزام العدو]

وقال ـ رحمه الله ورضي عنه[٢٩] ـ ما يكتب لحفظ الفرس ، وهما هذين الاسمين العظمين (رب ، خالق) يكتبان ويجعلان في قصبة من فضة ، وتعلق في عنق الفرس ، فان الله تعالى جلت قدرته يجري الفرس باجراء عادته الجميلة ، ويحفظ الفرس من الاسواء ومن العين ومما يختص بانهزام العدو ، وهو وقف على الملوك خاصة ، وهو من جملة الاسرار التي يجب كتمها الا على سلطان المسلمين ـ نصره الله تعالى ـ ولا يبيح فعلها الا للملك خاصة ، فاذا اختار الملك فعله فليكتب هذه الاسماء المعظمة وهو (عزيز ، جبار ، متكبر) مكبرين بعدتهم في لوح من حديد ويكتب في دائرة (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا)[٣٠] .

وتكون الكتابة يوم الثلاثاء عند بزوغ الشمس ، فاذا حمله الملك معه فان كل من رآه من الجيوش انهزم من قدامه بقدرة الله تعالى ، وقد اتخذه بعض الملوك وكان يكسر ببركته اعداءه . قال ذلك الاستاذ

---

(٢٤) الشقفة : الجمع الشقف ، وهو القحف من الطين المفخور ، او كسر الخزف .

(٢٥) سورة الحشر ، الاية : ٢ .

(٢٦) الجرو : بكسر الجيم وفتحها وضمها ، ثلاث لغات مشهورات ، وهو الصغير من جرو نمر ، من اولاد الكلب وسائر السباع ، ولما كان النمر من جنس السباع فيصح صغيره جروا . (حياة الحيوان الكبرى ـ للدميري) .

(٢٧و٢٨) لا يزال الكلام لابي العباس البوني .

(٢٨) وهو جنس نبات عشبي او شجري ، ساقه شبه بساق شجرة الفروع ومن صنفه ، ينبت بريا في بعض المناطق ويزرع للتزيين ، او ليكون سياجا للارض المزروعة .

(٣٠) سورة الفتح ، الاية : ١ ـ ٣ .

أبو العباس البوني ـ رضي الله عنه ـ وقال ـ رحمه‌الله ـ : (القدير) هو اسم تتخذه أصحاب الاقتدار على الاعمال الثقيلة ، يذكروه فيهوّن الله عليهم الاعمال الشاقة بقوة الله تعالى ، واما الاسم (القتدر) فيذكروه المسافرون في السفن فيامنون باذن الله من الغرق ، قاله البوني .

١١ [ما يقال في الاسفار]

وقال ـ رحمه الله ـ مما يقال في الاسفار :اذا نزل المسافر فليخط باصبعه في الارض في الجهة القبلية (يس والقرآن)(٢١) وفي الشرقية (ص‌والقرآن)(٢٢) . وفي البحرية (ق والقرآن)(٢٣) . وفي الغربية (ن والقلم)(٢٤) (والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)(٢٥) . وصح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ انه قال : « من نزل منزلا ، قال ثلاث مرات : (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)(٢٦) ، فان الله تعالى يحفظه حتى يرتحل من منزله ذلك » . خرّجه مسلم [في صحيحه] . ولقد جربته في جميع اسفاري كلها فما رايت الا خيرا .

١٢ [ما يقال في انهزام العدو]

وقال الاستاذ [البوني] ـ رضي الله عنه ـ :من اخذ من الارض كفا من تراب ، والقاه في وجه العدو وهو يتلو قوله تعالى : (سيهزم الجمع ويولّون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)(٢٧) . ويكون الريح في وجه العدو ، فان الله يهزمهم بقدرته . ولما كان المملوك(٢٨) بثغر الاسكندرية المحروس على وظيفة نقابة الجيش بها بامر مولانا السلطان(٢٩) ـ ادام الله بهجة الدنيا بامتداد ظله ، ويلهم اهلها ما يستوجبون به اسباغ عدله ، ويجعل القلوب على طاعته متفقة ، ولا زالت الامة في شكره قاضية دين ، واحسانه ابدا متجددا على الجديدين(٤٠) ـ وكان اذ ذاك العدو المخذول هجم على الثغر بغربان مخذولة اربعة ، وكان ذلك في ولاية مملوك السلطان وعتيقه ابن عرّام فقاتلناهم ، وصار المملوك يحثو بالتراب في جهتهم ويتلو التلاوة التي ذكرها الشيخ البوني بقوله تعالى : (سيهزم الجمع ويولون الدبر .. الاية) وصار المجاهدون يرمونهم بالسهام ، وكان مزمهم قوي الاهتمام ، وقتل منهم جمع كثير ، وولوا [الادبار] منهزمين ،وهم الى مقرهم في جهنم داخرين .

١٣ [صور ترتيب المقاتلة من الفرسان](٤١)

ومن مجربات الملوك قديما اذا اتفق ان تكون الحرب يوم السبت فلتقف فرسانا ، فان كان الحرب

---

(٢١) سورة يس ، الاية : ١ .
(٢٢) سورة ص ، الاية : ١ .
(٢٣) سورة ق ، الاية : ١ .
(٢٤) سورة القلم ، الاية : ١ .
(٢٥) سورة البروج ، الاية : ٢١ .
(٢٦) وفي رواية ابن حبان في صحيحه ، من قال هذا الدعاء ثلاث مرات : لم تضره حمة تلك الليلة ، والحمه : السم ، او لدغة كل ذي سم .
(٢٧) سورة القمر ، الاية : ٤٦ .
(٢٨) يعني المؤلف نفسه .
(٢٩) يعني الملك الاشرف شعبان مولى المؤلف .
(٤٠) الجديدان : الليل والنهار .
(٤١) صور ترتيب المقاتلة من الفرسان .
وهو ما يعرف بعلم التعابي العددية في الحروب : وهو علم يتعرف منه كيفية ترتيب العساكر في الحروب ، وكيفية

على ما يرى من العدد والترتيب ولا يخرج عن ذلك بزيادة ولا نقصان على هذه الصورة ؛ هكذا :

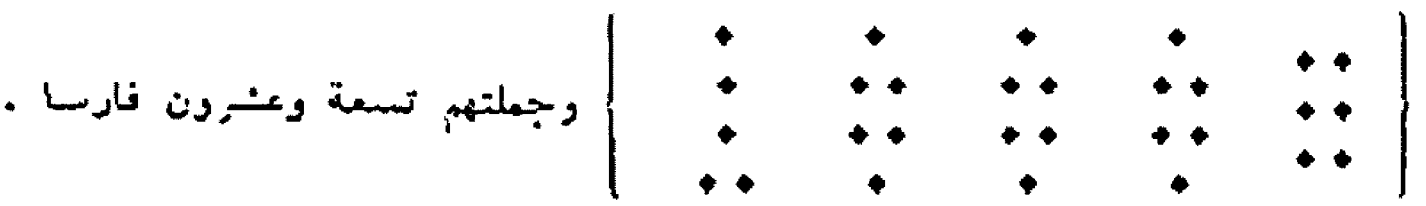

وجملتهم تسعة وعشرون فارسا .

فان كان الحرب يوم الاحد ، تكتب سور الفاتحة وسورة الدخان وآية الكرسي و (قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير انك على كل شيء قدير ، تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت ، وتخرج الميت من الحي ، وترزق من تشاء بغير حساب)[٤٢] . وتكون تلك الآيات مع بعض هذه الفرسان ، وتقفون على هذا النظام ؛ هكذا :

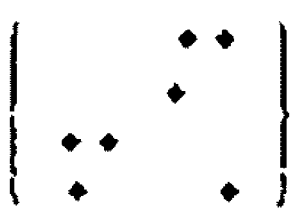

وجملتهم سبعة نفر .

فان كان الحرب يوم الاثنين فتقف الفرسان على هذا النظام ، هكذا :

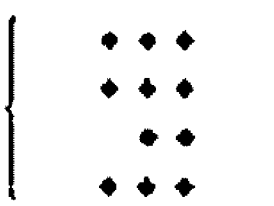

وجملتهم احد عشر فارسا .

فان كان الحرب يوم الثلاثاء فتقف اصحاب هذا العدد بين الصفين ، هكذا :

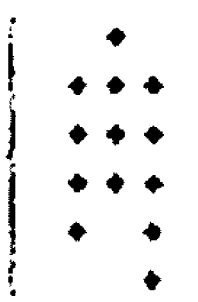

وجملتهم ثلاثة عشر فارسا .

فان كان الحرب يوم الاربعاء فتقف الفرسان على ما ترى ، هكذا :

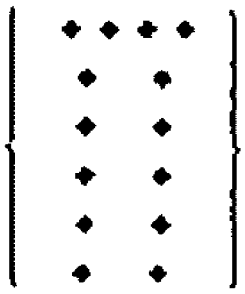

وجملتهم اربعة عشر رجلا .

فان كان الحرب يوم الخميس فتقف المقاتلة ؛ هكذا :

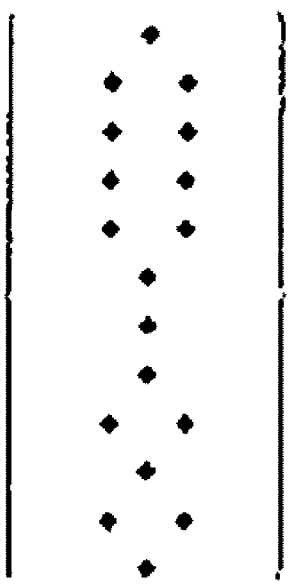

وجملتهم ثمانية عشر رجلا :

تسوية صفوفها ازواجا وافرادا ، وتعيين اعداد الصفوف واعداد الرجال في كل صف منها ، وهيئة الصفوف : اما على التدوير او التثليث او التربيع الى غير ذلك حسبما تقتضيه الاحوال ، وبينوا ان في رعاية الترتيب المذكور ظفرا بالمرام ، ونصرة على الاعداء ، ولا يكون مغلوبا ابدا باذن الله سبحانه وتعالى . الا ان العلماء اخفوا هذا العلم وضنوا به عن الاغيار . (كشف الظنون : ج١ ، ص٤١٥).

(٤٢) سورة آل عمران ، الاية : ٢٧ .

فان كان الحرب يوم الجمعة ؛ وهذا اليوم من عادته قلما يقع فيه حرب ، فان ثارت فيه حرب ، فقلما تهدأ ؛ وليكن وقوف المقاتلة على ما يرى من الترتيب الاصلي ، هكذا وقوفهم :

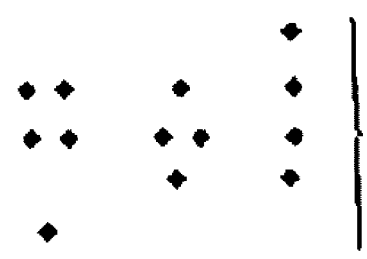

وجملتهم اربعة عشر فارسا .

قال مؤلف هذا الكتاب المختصر : واذا وقفت هذه المقاتلة يقفون متباعدين كي تخلص رماحهم والازدحام في الحرب كما هو مشهور يكون فيه مفاسد كثيرة . قال علماء الشريعة المطهرة : « الازدحام في صفوف الصلاة يذهب الخشوع » . ويقف هؤلاء المقاتلة اصحاب هذا العدد المخصوصون قريبا من الجيش السلطاني ـ نصره الله ـ ويكون امامه وقت اللقاء ؛ وهذا الترتيب العددي المذكور له شرح لو بسط لرؤي منافعه من الغرائب العجيبة ما ضمته ؛ علمنه ـ من فضل الله ـ من علمنه ، وهو من الاسرار التي لايجوز شرعا وعقلا كشفها الا للسلطان ، خاصة الذي قلده الله تقليد الشرف لحفظ متعلقات الشريعة المطهرة ؛ وكلفه بجميع المحامد سبحانه على ذلك !..

١٤ [حكمة السلطان وتبصره بمقاتليه]

ومما يعرض على المسامع من التدبيرات السلطانية في معرفة السلطان مماليكه في الحرب رجلا رجلا وبخاصة لما يختار منه من سائر احواله ليضع كل واحد منهم مكانه .

ولقد حكي عن بعض الملوك ـ رحمه الله ـ انه كان يعرف اصحابه رجلا رجلا اسمه ونسبه وبلده وهيئته وسيفه ومنطقته ومقدار عمله في الحرب . وقال : اعرف الشجاع الحاذق المداري ؛ اعرف الشجاع الاهوج المقدام ، اعرف الشجاع الجريء الروّاغ ، اعرف الشجاع العاقل المتانّي ؛ اعرف الشجاع الفرار الكرار ، اعرف الشجاع الحرون اللازم لموضعه ؛ اعرف الجموح المصمم على قرنه ؛ اعرف الرجل يقاتل امام اصحابه ، اعرف الرجل يقاتل في حامية اصحابه ؛ اعرف الرجل الثابت الساكن القلب ، اعرف الرجل الطائش الطائر القلب ، اعرف الرجل الذي لا يخذل صاحبه ؛ اعرف الرجل الذي يسلم صاحبه ؛ اعرف الرجل يقاتل اذا رآه صاحبه ؛ اعرف الرجل يقاتل ولم يره احد ، اعرف الرجل يقاتل اذا غضب ، اعرف الرجل يقاتل اذا طمع ، اعرف الرجل يقاتل للشهرة ؛ اعرف الرجل يقاتل للحياء ، اعرف الرجل يقاتل للكرم ، اعرف الرجل يقاتل للوفاء ؛ اعرف الرجل يقاتل للتدين ؛ اعرف الرجل يقاتل للتعصب ، اعرف الرجل يقاتل للغيرة ؛ اعرف الرجل يقاتل للحمّية ، اعرف الرجل يقاتل للذكر ، اعرف الرجل يجبن ويجبن غيره ؛ اعرف الرجل الجبان يشجع غيره ؛ اعرف الجبان يتشبه بالشجاع ، اعرف المقاتل فارسا ، اعرف المقاتل راجلا ، اعرف الفارس اللبق المتوقد ، اعرف الفارس البليد ، اعرف الفارس الجيد الرمي ؛ اعرف الرجل الجيد الطعن ؛ اعرف الرجل الجيد الزرق ؛ اعرف الصفق بالعمود ، اعرف الجيد الضرب بالطبر ، اعرف كل ذي خاصة بخاصته ، اعرف الحافظ للسر .

قال محمد بن منكلي الداعي : اما الحافظ فهو المشار اليه لخدمة الملك وله شروط وعلامات يعرفها الباحث من جنسه ؛ وليس هذا المختصر موضع ذكر الشروط والعلامات التي تختص بصاحب حافظ السر ، وقد ذكرت ذلك في « العقد المسلوك فيما يلزم جليس الملوك » . وقال : اعرف المساعد على الامر ، وقال اعرف الاصيل الراي ، وقال اعرف الناصح الشفيق ، اعرف السامع المطيع اعرف الوداد المحب ؛ اعرف الصدوق اللهجة ، اعرف السليم الناجية ؛ اعرف الصبور على الشدة ،

أعرف الدائم الطريقة ، أعرف الشكور النعمة ،أعرف المتحمل للمعروف ، أعرف الوفي بالعهد ، أعرف الورع المتدين ، اعرف القليل الدين ،واعرف المضاد لكل خصلة من هذه الخصال فاجتنبه !!..

١٥ [في مرتكبي الذنوب والجرائم]

ومن التدبيرات السلطانية في الذنوب والجرائمالتي يستوجب مرتكبها الادب والعقوبة ؛ من ذلك المكبر بغير اذن المطيّل بغير اذن المقاتل ، بغير اذنالتارك للموافاة يوم الحرب ، المتقاعس عن الخروج يوم الحرب ، المخل بمصافة(٤٣) النائم عن محرسه ،السالك في غير طريقه ، النازل في غير موضعه ، الواقف في غير موضعه ، الواقف في غير موقفه ،المجاوز لما يحدّد له ،، المقصر عن ما يحد له ؛ التارك لما يوكل به ، التارك انهاء ما ينبغي انهاؤه ، المانعمعونته فيما يحتاج اليه ، صاحب الفلول ، واري الاسير ، الهارب من الزحف ، الناقم على رئيسه ،الطاعن في رئيسه ، المفسد للناس على رؤوسائهم ، الواصف للعدو اصحابه بالضعف ، الواصف للعدوبالقوة ، المخبر للعدو اصحابه ، المشجع للعدو على اصحابه ، الدّال للعدو على عورة اصحابه .

١٦ [الكشف عن احوال الجند]

ومن التدبيرات السلطانية ، الكشف عناحوال الجند ، بأن من كان عنده فضيلة فليعرضها على المسامع الشريفة ، وتكون تلك الفضيلة ممنلها نفعا على المسلمين ؛ خصوصا ان تكون من العلوم الحربية ؛ والحمدلله ان بحضرة مولانا السلطان ـ نصره الله ـ ممن له المعرفة التامة في علم الحروب وغيرها ـ كثرهم الله تعالى ـ والداعي يعرض علىالمسامع المصونة مما يذكره القن .

١٧ [في سياسة قتال الافرنج في البحر]

من التدبيرات السلطانية ـ نصرها الله تعالى ـفي سياسة قتال الافرنج في البحر مع ذكر ما سيعرض على المسامع المصونة ان شاء الله تعالى .

قال اهل العلم : من نقش في خشبة ساجقوله تعالى : (وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها(٤٤) وتسمّر الخشبة في مقدم السفينة ؛ فان ذلك حرزا عظيما ، فمن ذلك ما يعتمده صاحب استجلاب الرياح بقدرة الله تعالى اذا اراد انيلحق المجاهدون العدو . والحكمة فيه مما قد جرب : ان يكتب اربعون حرف (راء) بقلم غليظفي رقّ ؛ ويربط ذلك الرق في صاري المركب ، ويصوّت رجل قوي الصوت بصوته وقوته ازئرارا،الى أن يرسل الله الرياح بكرمه ؛ وهذا من سر (راء) قوله تعالى : (ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات)(٤٥) .

١٨ [ادوات القتال وحال القاتلة]

ومن ذلك ما تعتمده رماة النشتاب ، وما يكونعت قسيهم ، وكيف يقفون ؛ والى اين يقصدون في رميهم على العدو ، وكيف يقترفون برميهم علىالعدو ، وما يكون داخل تراسهم(٤٦) وكيف يكون

---

(٤٣) كذا الاصل .

(٤٤) سورة هود ، الاية : ٤١ .

(٤٥) سورة الروم ، الاية : ٤٦ .

(٤٦) الترس : من ادوات القتال التي كانت شائعة في الجيوشالعربية القديمة ، وهو صفحة من الفولاذ تعمل للوقاية من ضربات السيوف ونحوها ، وقد اطلقوا عليه اسماءمتعددة هي : الجحفلة ، والدرقة ، والمجن ، والجنة .
ويقال في اللغة : رجل تارس : اي ذو ترس ، ورجلترّاس : اي صانع الترس .

نسيهم في ايديهم منتصبة او منحنيـــة ، وكيف يخطرون بقسيهم بعد الافلات ، ومم يكون لبسهم من السلاح ، وكيف تكون اقباع البيض(٤٧) على رؤوسهم ـ اعني الخوذ ـ وممن يكون حشو البيض ، وكيف يكون حالهم وقت القتال ، وبماذا ينطقون وقـت القتال ، وبماذا ينطقون وقت القتال ، وما الاحسن في خناجرهم ان يكونوا طوالا او قصارا وقت العمل بها في الحرب ، وما مقدار الطوال من الخناجـر والقصار ، وكيف يمسك الطويل ، وكيف يمسك القصير ، وفي اي محل يكون كل منهم ؛ وما يكون حال مرسل الماء المهلك ، وكيف حال الذاب عنه من سهام العدو ، وما تركيب هذا الماء ، ومـن استنبطه من الحكماء ، وهل يكتفي برجل واحد لزراقة هذا الماء المذكور ، ومم تكون تراس المقاتلة في البحر من خشب او حديد ، وما يكون قدر حجارة الرشق على العدو اذا احتيج لذلك ، واين تكون حجارة الرشق وقت الرشق ؛ وما يكون فعل الراشق حين الرشق ، وكيف يكون حال المقاتلة وقت القتال من شبع وري ، وما يعتمد الضارب للطبل الذي من خاصيته من سمعه من العدو انهزم وما يعتمده الزراقون(٤٨) وقت الحرب ، وما يعتمده مقدم الزراقين وقت الحرب ، وما يعتمده مقدم كل فرقة على الاطلاق ثم يبدأ أولا بمقدم الرماة ، يجب عليه في هذه الحالة ـ اعني وقت القتال ـ سـواء كانت الحرب في بر او في بحر امور .

١٩ [الخصال المثلى في قائد المقاتلة]

فاول ما يجب عليه [اي على مقدم الرماة] اولا : تقوى الله ـ عزوجل ـ اذ هي العمدة الكبرى، والغاية القصوى . الثانية : ان يكون يعلم من نفسه ، هل هو ممن له خبرة بصناعة الجندية ؛ ام لا ؛ فان لم يكن له علم ذلك فحرام عليه ان يتقدم على من هو اعلى منه بهذه الصناعة الشريفـة . الثالثة : ان يكون له مع علمه ثبات وجراة والا لم ينفعه علمه ؛ وقد قيل : (العلم بلا عمل كقوس بلا وتر) وقالوا ايضا : (العلم بلا عمل كشجرة بـلا ثمر) . وفي هذا الموطن ـ اعني وقت الحرب ـ كما علمه وهو شجاعته . الرابعة : ان يكون له نيـة صالحة لنصح سلطانه والذب عنه بما أمكن والا فقد خسر خسـرانا مبينا وكان من الخائنين . والداعي فقد سمع من العقلاء : ان كل من غضب عليه سلطانه فقد غضب عليه ربه ؛ وان مات من غير رضـى سلطانه مات ميتة سوء وكان في حياته من المذنبين .. نسال الله العافيه !!. الخصلة الخامسة : ان يكون حسن المعاشرة لرفقائه ناه لهم من وقوع ما لا يجوز فعله شرعا ، وهذا من باب حسن المعاشرة ، ولا يكون نهيه لهم بعنف ولا بصولة فان فعل مثل ذلك فليس هو بصالح للتقدمة على المجاهدين في سبيل الله ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : (علموا ويسروا ولا تعسروا) وقال صلى الله عليه وسلم : (علموا ولا تعنفوا) وليشرح ان شاء الله تعالى فيما قد تقدم ذكره من نعوت المقاتلة ومما هو مذكور من نعوت بعض سلاحهم .

والترامة : صناعة التراس ، ويقال : اترس او تترس الرجل : اي تستر بالترس . والترس مفرد وجمعه : تراس وتروس وترسة . (المنجد في اللغة والمختار من الصحاح).
وجاء في « القاموس الاسلامي » تسمية انواع التراس : وكانت التراس العربية على انواع بحسـب الغرض منها ، فالترس « المثنب » كان يستخدم لاتقاء ضربة السيف ، ورمية النشاب والحجارة ، والترس « المسطح » كان يستخدم لاتقاء ضربة الرمح .. وكانت التراسة من الصناعات المتقدمة في مختلف الدول العربية ، ولكل بلد منها طراز خاص، فمنها : الدمشقي ، والبغدادي ، والغرناطي ، كانت تنقش على التراس الايات القرآنية والحكم ، وتزين بالرسوم والرنوك . (القاموس الاسلامي ـ احمد عطية الله : ج ١ ، ص ٤٥٧) .

(٤٧) والبيضة والجمع البيض ، والمغفر كمنبر : هما الخوذة المنسوجة من زرد الحديد ، تلبس على الراس ، او من صفيحة الحديد . ومنه : ابتاض ـ اي لبس البيضة .

(٤٨) الزراق والجمع مزاريق : وهو الرمح القصير ، وتسمى الاسنة والنصال زرقا للونها . وزرقه بالزراق : رماه به ، والزراقة : المضخة او انبوبة في جوفها خشبة يرمى بها الماء . (المختار من الصحاح) .
والزراقة والزراقون : مصطلح يراد به الذين يقذفون بالنار اليونانية وقد اقتبسها العرب من الروم ، وهي مواد مشتعلة تقذف نحو العدو باسطوانات نحاسية مستطيلة.(مجلة العسكري ، العدد ١٤ ، ١٩٦٩ ، ص ١٢٨) .

٢٠ [ما تعتمده رماة النشاب]

اما ما تعتمده رماة النشاب : فتكون سهامكل شخص على وزن واحد وتكون سهامهم مفتحة الافواق(٤٩) ـ اعني الكازّات ـ لا متسعة ولا ضيقة فان في ذلك فساد كبير معلوم عند الاستادين الرماة ، ويكون في الفوق طول مثاد فانه اثبت للسهم واسكن،ومن ذلك سكون القلب وهو الاصل فمتى زاغ بطل جميع ما يعمله الرامي ؛ واما نظر الرامي فله نظرات:نظر العين ، ونظر القلب ، فنظر القلب معروف بالذهن الحاضر وخلو البال ، فمتى اشتغل ذهن الرامي فسد جميع عمله . فأما النظر اذا كان الرامي طويلا و [كذلك] رقبته فينظر الى العلامة بعينيه جميعا من خارج القوس . وان كان رميه وهو جالس او وهو واقف ، فان كان رميه وهو جالس فيجلس محرّفا وينفتل بخصره وجيده ولا يميل راسه . واما رماية الرامي القصير القامة : اذا رمى وهو جالس او واقف يقعد موجه ويقبض القبض محرّفا وينظر الى العلامة بعينيه جميعا من داخل القوس ، وان شاء يقسم عينا برا وعينا جوا(٥٠) ، وان قدر جميعا من خارج القوس بالعينين يفعل حتى لا تنفتل رقبته ويكون العقب تحت التلى وفوق كمّ النصل لا بالقليل حتى اذا ضرب السهم ينكر السهم .

٢١ [السهام الرائشة](٥١)

واما طول الريش وقصره فبحسب قوة القوس ولينه ، ان كان قوسه قويا فطويل الريش اهدا له واوفق ، وان كان قوسه لينة فقصير الريش اهدا له واوفق ، هذا الكلام لبعض المعلمين ، واختر لنفسك ما يحلو لك !!.

واكثر العجم يطوّلون الريش ويزعمون ان طوله اسرع لذهاب السهم واصلح واطرد له ، واطوله عندهم ستة اصابع او سبعة . وقال بعضهم هذا .

واما حذاق الرماة فيختارون تقصير الريش ويجعلونه اربعة اصابع او خمسة ؛ ويجعلون لرمي البعيد ثلاثة اصابع ، وقيل اصبعين ونصف ، وقيل اصبعين فاعلم !! ويزعمون ان قصره اسرع لذهاب السهم واطرد له ، واختار بعض الرماة ريش الجناح الايمن وقالوا : هو اطرد للسهم واسرع لذهابه ايضا ، واختار آخرون ريش الجناح الايسر ،وقالوا : هو اطرد للسهم واسرع لذهابه . واختار اخرون ريش الاذناب ؛ وقالوا : هو اجود الريش واحسن لسبوطته واعتداله . واختار بعضهم خوافي الاجنحة وهو خير من ريش الاذناب .

واما تخصير طرفي الريش وتوفير وسطه فعليه اكثر الرماة العجم . واختار حذّاق الرماة توفيره ناحية الفوق ـ يعني الكاز ـ وتركه على خلقته(٥٢) دون قطع شيء منه وتخصيره من ناحية النصل ويعرف بالخطافي لشبهه بجناح الخطاف . واحسن الريش ريش النسر الابلق ثم يليه العقاب .

واما حكم النصل عند بعض الرماة ان يكون سبع السهم ، وحكم الريش ايضا ان يكون سبع النصل ، وقيل : بل حكم النصل أن يكون ثمن السهم ، وقيل : حكم الريش ان يكون ثمن النصل ، وقيل : التسع في كل واحد .

---

(٤٩) انظر الهامش رقم (١٨) .

(٥٠) المقصود هنا بالبر والجو : الخارج والداخل .

(٥١) من السهام ما تلصق عليها بمضا من ريش الطير ، فيسمى واحدة بالسهم الرائش اي السهم ذو الريش .. وقالوا : الريش من السهام : هو ما الصق عليه ريش ليحمله في الهواء كما يحمل الطائر .. واراش الرجل السهم : اي الزق عليه الريش .. وارتاش او ترياش السهم : اي الزق عليه ريشا .

(٥٢) كذا الاصل ، ولعل الصحيح : خلقته .

واما ريش الجناح الايمن فهو أسرع لذهاب السهم واطرد له عند بعض الرماة ؛ وقال آخرون : الايسر . وقيل : اذا رميت بريش الجناح الايمن اطلب يسار الغرض ، واذا رميت بريش الجناح الايسر اطلب يمين الغرض . واصل الريش وحكمه ان يكون مستويا معتدلا في الوزن والقط ، وفي الطول والعرض لا تكون ريشه اطول من الاخرى ،ولا في القط اعرض من اخرى ولا اعلى ولا اخفض منها ؛ لان السهم يتحرك في سيره ويضطرب بذلك كله ، فمن اراد اعتدال ريش سهمه واستقامته وتحسين سهامه واستقامة سيرها فليأخذ وسط الريش ويطرح طرفيه ويتركهما . وقالوا : لكل ريشة بطن وظهر فاذا ركبت الريشة على السهم يركب ظهرا للبطن ، واذا ركب الريش على السهم فيركب مقابلا لاركان النصل ولا يركب غير مقابل لاركان النصل فان ذلك خطأ وخلل في الرمي وليحترز المقاتل الرامي من كان من الجند او غيره من مثل كل ما ذكر في السهام من عيب . واما النصل المثلث القصير يصلح لنفذ التراس والدروع(٥٢) ..

٢٢ [نعت القِسي]

واما نعت قسيهم ، فان كان قتالهم كما تقدم في البحر الملح فينبغي ان يكون خشب القوس اكثر من قرنه ، وتكون القوس طويلة السّياب ، معتدلة الفروض ــ اعني موضع الوتر ــ لا متسع ولا ضيق فان في ذلك فساد كبير لخروج السهم وغيره .

وقول الدامي : فكيف يقفون فيما تقدم ذكره ؟ يقفون متفرقين او متضايقين في وقت القتال؛ فاذا وقفوا متضايقين يمتنعوا من تخليص خطرات القوس ، فاذا احتاجوا للمضايقة او الجأهم العدو لذلك حتى يمتنعوا من تخليص خطرات القوس ،فيخطرون حينئذ خطرة اسحاق الرّفا ــ رحمه الله ــ او خطرة قوس البندق ؛ وهي جيدة للخطرة على الاسوار ويصلح ايضا في رمي القيفج في بعض الرمايات ، وهي : اذا رمى الفارس ما يقصده اذا كان راكضا لفرسه لرمي طائر او نحوه ثم يخطر وهي كخطرة قوس البندق .

قال المؤلف : ينبغي للرماة اذا رموا على العدو والعدو في مركب او كان الرماة على البر ، فالذي ينبغي للرماة لا يقصدون في رميهم غير ماسك دفة رجله التي في المركب ، ويقصدون ايضا في رميهم وجوههم ، ويتفرق الرماة لثلاث نفر على ماسك دفة ثلاثة ، وعلى مقدم المركب ستة واربعة على صاحب التابوت والباقون ــ اعني الرماة ــ يتفرقون في رميهم على المقاتلة وعلى الغدافين . وهنا نكتة حسنة علمها ضروري وهي استنكار القن،وذلك: اذا تعب الرامي من كثرة الرماية او صلبت قوسه فليمد رجله اليسرى ما استطاع فانه يستعين بهذه الكيفية على مدّ قوسه الصلبة ان شاء الله تعالى . هذا اذا كان العدو في غراب(٥٤) ، واما اذا كان في قرقورة(٥٥) فليس لهم غير المصابرة او التحيل في احراق القلع او النقر في المركب اذا لم يمكنهم هبوب الريح ، فان اقتعوا وامكنا طلبهم واحراق القلع برمينا بالسهام النارية فبخ بخ . وان رمياهم وهم في القرقورة فقد اضعنا منها مثنى . كما اتفق في ايام بعض الامراء : لما ارسل بعض مماليكه لثغر الاسكندرية ،ورموا على الافرنج ، والافرنج في قرقورة فما افاد ذلك شيئا واضاعوا السهام ، والاحسن ان يرموا بسهام الحسبان(٥٦) وبالبندق(٥٧) والسهم الطويل المعهود جميعا ، طائفة يرمون بهذا ، وطائفة يرمون بهذا ..

---

(٥٢) الدرع والجمع الدروع : وهو لباس كمقيص من زرد الحديد يرتديه المقاتل في الحروب ليرد عنه ضربات الاعداء . والدرع : مؤنثة وقد يذكر ، ودرع المرأة : قميصها ،وهو مذكر . وادرع الرجل وتدرع : اي لبس الدرع .

(٥٤) الغراب : من سفن البحر القديمة ، وتكون صغيرة .

(٥٥) القرقور ، والقرقورة والجمع قراقير : السفينة الضخمة والطويلة .

(٥٦) الحسبان جمع وواحدة (حسبانة) : وهو السهام الصغار .

(٥٧) البندق : وهو كل ما يرمى به من رصاص كروي وسواه.(المنجد في اللغة) .

٢٣ [كيفية وضع الخوذة على الراس]

وهنا نكتة ينبغي علمها للمجاهدين : وهي كيفية وضع الخوذة على الراس فينبغي ان يكون ارزاز القبع يكون غليظا ـ يعني حشوة كثير ـ يعملونه لكي لا تنزل الخوذة على انف لابسه ؛ فافهم ذلك ترشد !!. وقد اتفق في ايام الشهيد الملك الناصر لما توجه العسكر الى حصار ايّاز فاتفق ان بعض الجند تقنطر ، فنزلت الخوذة على قصبة انفه فغشي عليه من الخوذة لقلة حشو قبعها ، فافهم ذلك !!. واراد الارمن اخذه ، فقاتل المسلمون جند الارمن قتالا شديدا ، وقتل منهم جماعة ؛ وسلمه الله تعالى منهم بحماية من المسلمين له ..

ويكون حشو الخوذ : ان يجعل فيه من الاسفنج الضيق الابخاش (اي المسامات) قالوا : فان في ذلك يمنع من تاثير الضرب القوي اذا نزل على الخوذة ؛ ويمنع الصمم من تاثير قوة الضرب ايضا . والحكمة في ذلك ان كثرة البخوش التي في الاسفنج تفرّق مادة الضرب . وقد ارشد الاسكندر ارسطاليس الحكيم (الى) هذه الحكمة في حروبه .

٢٤ [حال المقاتلة وقت الحرب]

واما ما يكون عليه المقاتلة وقت الحرب فيكونون اربعة تقاتل جميعا او ستة عشر والستة عشر في العدد هو زوج الزوج ، قال . ذلك لاون [Lion] الملك اليوناني في الكتاب الذي سماه « مراتب الحروب » وهو كتاب جيد ينبغي للجندان تطالعه فان فيه قانونا غريبا في ترتيب القتال ، ومدلول اسم (لاون) اسم الاسد باليونانية ، قال المؤلف : ومن شرط هذه الرفقة المذكورين ، ان يقاتل كل واحد (منهم) عن رفيقه وعن نفسه ، فان لم يكن الرفيق يقاتل عن رفيقه والا فسد الامر ووقع الخلل وذلك من قلة المروءة وضعف القريحة ويكون نطقهم (حم لا ينصرون)(٥٨) تاسيا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يكثرون الصياح لانه فعل مكروه تفعله الجهلة في الحروب ، عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تتمنوا لقاء العدو ؛ واسالوا الله العافية ؛ فاذا لقيتموهم فاثبتوا واذكروا الله ؛ فان اجتمعوا وصاحوا فعليكم بالصمت)(٥٩) .

٢٥ [نعت اصناف الخناجر]

واما احسن الخناجر : فالقصير لقتال اهل البحر اذا داخلناهم في مراكبهم وهو جيد للمغالقة ، والطويل لا يمسك كالقصير بل يكون مسكه كمسك السيف ، والقصير بضد ذلك . قال الداعي : ومتى ما مسك الطويل كالقصير وقع الخلل ؛ ولم يكن للبعج به قوة ؛ واذا ما اخطا كشف يد ماسكه وكتفه .

٢٦ [الزّراقة وصناعة ماء الزرق]

واما زراقة هذا الماء المهلك : فيؤخذ الماء الذي يوصف يلقى في قصبة الزرق او خشبة مجوّفة(٦٠) كما يفعل الشبان في يوم النوروز ، ويكون قصد الزراق وجه الخصم خاصة هذا الماء للذهاب البصر

---

(٥٨) انظر هامش رقم (٨) .

(٥٩) وفي حديث متفق عليه عن عبدالله بن ابي اوفى ـ رضي الله عنهما ـ ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بعض ايامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام في الناس فقال : « ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، واسالوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ، ثم قال : « اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب ، وهازم الاحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم !! » . (صحيح مسلم) .

(٦٠) انظر الهامش رقم (٤٨) في معنى الزراقة .

من آدمي أو فرس ، ومن حصل في عينه قطرة من هذا الماء عمى ولا سبيل لعلاج لها .. واما كيفية تركيب هذا الماء المبارك : هو ان يؤخذ ملح القلي وزرنيخ مبيّض أجزاء سواء يسحقان ويفمران في ماء غمرهما ، ثم يصفى ذلك الماء ويجعل في المزراق ، وصفة تبييض الزرنيخ المسمى عند أهل الصنعة (العلم) وهو معروف عندهم ، وهو ايضا يعمي جميع الدواب وقيل : ان الزاج وحدها اذا سحق ونقع في الماء نحل مثل ذلك من الاذى . وهذا الماء المذكور هو من حكم ارسطاليس الحكيم الذي علمها للاسكندر ، ويتعين كتم تركيب هذا الماء عن الجهال . والاحسن والاصوب ان يرش بهذا الماء من الزراقين ثمانية بمزاريق طوال ، طول كل مزراق باع ، اما من خشب مجوف او من ليطة وهو القصب الفارسي ، وهذا المزراق يمكن ان يكون من قناء يجعل بطول الرمح وفيه سنان ، ويكون كهيئة رمح لكنه مجوف وفيه الماء المذكور ، وهذا الرمح يمكن ان يطعن به ويزرق بماء فيه وهو من خداع الحرب. واذا زرق به الزارق فلا يقصد الا العينين ويكون المزروق كافرا ..

٢٧ [اجناس التراس]

واما اجناس التراس[٦١] : فمنها الخشب ولا يصلح الا ان يتقى به الحجارة ، ومنها بولاد ومنها الحديد ومنها الصفصافية ومنها الخيزرانية ومنها من جلود الحيوان ، وما تعمل من الجلود : وهي التي تعتمد عليها فرسان المغارب ، وغيرهم يصنعونها من جلد حيوان يسمى (اللّمط) او من غيرها ويبطنونها بطاقات من الجلود داخلها وخارجها وهي جيدة لمن يلقي بها الرماح والمزاريق ـ ايضا للنشاب وللسيف ـ والمغاربة ليس لهم في قتالهم عمدة الا المزراق ، والقليل من فرسانهم من يحسن مباشرة الرمح ، ولهم جلد في الروغان على الخيل الا ان فرسان الاندلس لا يتقنون صناعة الكر والفر[٦٢] وراجلهم انفع من فارسهم ، واما فرسان الغرب الاوسط فهم أفرس من فرسان الاندلس ، ولنرجع الى ذكر انواع التراس : فمنها (المسطح) ومنها (المستطيل) ومنها (المستوي الاطراف ، المخصّر الوسط ، المقبب) ومنها (المنحني الاطراف الى خارج) ، فهذا لا يلقى به الرمح ، فمتى طعن به تشبك الرمح في اطرافه وصرع صاحبه ، ويصلح للنشاب وللحجارة والسيف . و [الترس] المستطيل ايضا يلقى به النشاب والرمح والسيف لانه يستر راسه ورجليه ايضا ، يستر راس الفارس اذا كان مع الفارس هذا الترس ويقيه بطوله ، وينظر باحدى عينيه من اجنابه ، ولا يكشف عن وجهه . و [الترس] المسطح يلقى به الرمح والنشاب والسيف ولا يلقى به الحجارة . و [الترس] المستوي المبسوط الاطراف الذي فيه تقبيب قليلا يلقى به كل الاسلحة جميعا ويستوي على المرفق ، فاعلم ذلك !!.

واما مقدار حمائل الترس للفارس والراجل اذا تقلد به في عنقه وبسط يده وكفه مدموم [أي مدمى] ، فان وصل يده على السير قبض على السير الذي في طرف الترس لرمي النشاب ولمسك الرمح . فاذا وصل يده وجاء قدره فكان ، وان قصر طوله وان طال قصّره حتى يجعل الحميلة طول يده ثم سير الحميلة مع اليد وهي قابضة السير ، يمينا وشمالا واماما وخلفا ، وهذا يكون مقداره ما يتقي به فهو حينئذ ميزان سير الحميلة ، وهذا هوراي مشايخنا ، وبهذا اخذنا منهم ذلك ، وبهذا

---

(٦١) انظر الهامش رقم (٤٦) .

(٦٢) الكر والفر : ضرب من ضروب التعبية في الحرب عند القدماء ، وكان العرب في جاهليتهم لا يعرفون غير هذا النظام ، ولما ظهر الاسلام كان في جملة اوامره ترتيب المقاتلين صفوفا في الحرب ، ونزلت الاية الكريمة في ذلك في قوله تعالى : (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيل الله صفا كانهم بنيان مرصوص) وان هذا النظام بسيط حيث يمشي الجنود على هيئة صفوف متراصة نحو العدو قدما وصفا بعد صف ، ولكل صف سلاحه الخاص . (مجلة العسكري ـ العدد ١٤ ـ سنة ١٩٦٩) .

يكون عمل الفرسان . وقد زلت فرسان شجعان بأمور كثيرة بقلة معرفتهم منها قصر حميلة الترس ، ومنها ثقل السلاح مثل اللبس ومثل الرمح ومثل السيف ومثل الطبر والبزدغان والدّبوس وما اشبه ذلك ؛ ومنها قوة القوس ومنها خفة الوتر على القوس ومنها انتصاب وطول مؤخرة سرج الفارس يضرّ في وقت العمل وفي القتال ويعوقه في الحركات وفي غيرها ، فافهم ذلك !!. وفيها عيوب كثيرة ، ومنها خفة لجام الفرس في وقت المطاردة ومنها في السوق الشديد وايضا في القطف . ومنها عند القهقري ـ اعني كسكسة الفرس [اي تراجعها] ـ وقوي عليها ، وهذا كله يجري من خفة اللجام ؛ فافهم ذلك !!.

وقد رايت جمعا كثيرا من الفرسان التجعان.... كان بمقدمهم فارس شجاع ، وكان سبب هزيمتهم ان المقدم قوي عليه راس فرسه ، وكان لجامه خفيفا ثم دكس الفرس [اي رفسها] ولم يستطع الفارس رده فاعتقد اصحابه أنه انهزم فوافقوه في الامر ، ولم يكن الامر على ما ظنوا ، وكان ذلك الفارس اذ ذاك مغلوبا مع فرسه وكان امر الله قدرا مقدورا، واما ما يحذّر منه الداعي للمجاهدين وعلى غيرهم من جهة السير الذي هو في طرف الترس لرمي النشاب فانه متى ما كان نازلا عن طرف الترس كثيرا مع الرامي من الرمي ، فعند ذلك تفهم جدا لاجل رمي النشاب ، وهي من بعض مزلات اصحابنا الاجتناد ، ومن ذلك طرف شرّابة الخوذة ايضا اذا كانت طويلة ورمي الجندي مقابل الريح ، فان طرف الشرابة تعوق خروج السهم ؛ فافهم ذلك ! وقد اتفق ذلك لبعض الفرّاة من الرماة ولاجل ذلك ذكرت لك ، قال اصحاب التجربة من الجند : ينبغي أن يكون طرف شرابة البيضة التي هي الخوذة مستدخلة في طوق القرّقل الذي يسمى المصفّح(٦٢) او غيره اذا كان لها طوق ، وان كانت ما لها طوق فليتحيل على اخبانه من كل بندّ وسبب ، وان كان من جهة الترس فيقرها الربطة(٦٤) جدا ، فافهم ذلك !!.

٢٨ [من المزلات القبيحة]

ومن المزلات القبيحة التي يؤدب الجندي عليها اتخاذ فرس غير مطواع في المهمات السلطانية والصنايع الحربية .

ومن المزلات في حق الجندي اتخاذ آلة اقوى من قوته .

ومن المزلات في حق الجندي ايضا اتخاذ آلة هي اخف من قوته ؛ بل تكون على قدر قوته ، لا ثقيلة ولا خفيفة ، فاعلمه ذلك !!. هذا كله مع الاستطاعة .

٢٩ [من مستلزمات المقاتل]

قال محمد بن منكلي ، الداعي ، مؤلف هذا المختصر : والجندي مطالب بأمور كثيرة متعلقة بأمور الجهاد وغيرها . وقد قلت : أول عمدة الاجناد في الحرب : الاخلاص لله تعالى ، ثم بذل المهج بين يدي الملك . وهما قضيتان متلازمتان : اخلاص لله بلا نصح للملك غير مقبول [اي مرفوض] ، ونصح للملك بلا اخلاص لله غير مأجور فيه .

وهذه النكتة مما يتعين افشاؤها للجند ـ حفظهم الله تعالى ـ سواء اكانت الحرب مع الكفار ام مع البغاة ، وكلا احكام هاتين المسالتين مذكور في كتب الفقه ، وقد قيل : لا تخدمن السلطان الا بعد رياضتك لنفسك . وقد تقدم القول : في أن السلطان ظل الله تعالى في أرضه . وليرجع لشرح

---

(٦٢) المصفح : المريش ، المشى بالصفائح .
(٦٤) كذا الاصل .

الكلمات المتقدم ذكرها . من قدر حجارة الرشق اذااحتيج لذلك يكون ملء كف الراشق مع حبس نفسه واخراجه مع خروج الحجر من الكف ؛ وكذلك يكون حال الرامي على العدو .

واما كيفية حال المقاتلة وقت حال القتال من شبع وريّ ، فينبغي ان يكون حالهم دون الشبع والاقلال من شرب الماء .

واما ما يكون عليه صاحب الطبل الذي من خاصته ان من سمعه من العدو انهزم بقدرة الله تعالى . فينبغي ان يكون كاتم سر ذلك المعنى الذي في الطبل ، لانه من الاسرار الملوكية ؛ ولاجل ذلك لم اذكر لذلك المعنى الذي في الطبل بيانا ، لان ذلك من الاسرار الملوكية المنصورة ، وهي كتابة تكتب داخل الطبل الذي قدره [اي حجمه] قدر طبل الجمال واكبر ، ومن شرطه لا يكتب الا ان يكون الكاتب على وضوء وصائما ، والضارب [للطبل] كذلك .

واما ما يعتمده الزراقون وقت الحرب : فينبغي لكل منهم ان يعرف تحقيقا اوزان الدخائر ؛ وتقسيم الريح ، وضوابط المدافع ، وغايات رماياتها ، وتقدير احتمال لهامها واحجارها ، وعلم احراق المرايا[٦٥] وتقسيم درجاتها ؛ وفي الجملة ان يعمل كل احد ما يحتاج اليه ؛ ومن الضروري عدم افشاء صناعة الزراقة لمن لا يوثق به في دين او مروءة ، وكان الملوك قديما ينكرون على من يفشيها الا لغير الملوك او لمن يختاره ان يتعلمها .

واما ما يعتمده الجندي فلابد ان يكون داخل ترسه خنجر مؤيّد فيه ، ففي ذلك نفع كثير ـ لكن اضاع الجند من هذه الفائدة وجهلوها ـ وفي ذلك فوائد ، احداها : ربما سقط سيف المقاتل من يده او اخذ منه قهرا فيجد الخنجر مهيا في مكانه ، فيتناوله ، ويستعين بالله تعالى ويتقدم الى خصمه . والفائدة الاخرى : ان الخصم لا يدري ما في باطن الترس فيدهم بغتة وهو لا يشعر ؛ وهذه النكتة لم ار احدا ذكرها ؛ ولا سمع القن بها ، ولا وجدها في كتاب وانما هي استبكار وهبي[٦٦] بفضل الله تعالى ومنته ، وشبهت الخنجر الذي في باطن الترس كالحمل في بطن امه ، فيا له من ولد نافع مبارك يقي حامله من الاسواء !!..

قال القن : لابد ان يكون للجندي ضوابط من الشرعيات والسياسيات ، اما الشرعيات : فليزمه ، وان يكون يعلم بكيفية القتال اذ هو المطلوب منه وذلك في حقه فرض عين . اما السياسيات : لتتمّى ، وقد قلت فيما يأتي في هذا المختصر : صناعة الجندية مبنية على اصول اربعة وفروع شتى وهو مبين هناك فلينظر !! .

ومن وجد خللا فليصلحه ، ومن راى نقصانا فليكمله صدقة منه واحسانا .

قال القن : كون معرفة علم القتال متعين شرعا ما قاله اقضى القضاة ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري[٦٧] في كتابه « الاحكام السلطانية »[٦٨] : يمنع من لا يعلم علم القتال من تنزيله في الديوان السلطاني .

---

(٦٥) ذكره حاجي خليفة ، فقال : (قال ابو الخير : هو علم يتعرف منه احوال الخطوط الشعاعية ، المنعطفة والمنكسرة والمنعكسة ، ومواقعها وزواياها ومراجعها ، وكيفية عمل المرايا المحرقة بانعكاس اشعة الشمس عنها ، ونصبها ومحاذاتها ، ومنفعته بليغة في محاصرة المدن والقلاع . ا . هـ) . (كشف الظنون : ج٢ ، ص ١٦٥٢) .

(٦٦) كذا الاصل ، ويعني : انها من مبتكراته التي وهبه الله اياها .

(٦٧) توفي الماوردي سنة (٤٥٠ هـ/١٠٥٨ م) .

(٦٨) وهو من اشهر المؤلفات السياسية التي صدرت باللغة العربية ابان العصر العباسي الثالث ، ويبحث في النظام الاداري للدولة الاسلامية ، واصول العلاقات الخارجية ، وهو من المراجع المعتمدة في موضوعه . اختصره السيوطي ، ولابن الفراء الحنبلي كتاب بهذا الاسم .

٣٠ [في اقتناء الكتب وفضلها]

ومن التدبيرات السلطانية ، اقتناء الكتب حتى لا يخفى عليه كتاب ، ولقد بالغ ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، فقال في مدح اقتناء الكتب: نعم القرين ، والذخير ، والنزيل !! ان شئت ضحكت من نوادره ، وعجبت من غرائب فوائده ، ومن طبيب عربي ورومي وهندي وفارسي ويوناني، وبنديم مولد ، وبميت ممتع ، وبشيء يجمع لك الاول والاخر والشاهد والغائب والحسن وضده . وبعد : فمتى رؤي بستان يحمل في ردن ، وروضة تقلب في حجر ، ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الاحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ، ولا ينطق الا بما تهوى ، آمن من ارض ، واكتم للسر من صاحب السر ، واضبط لحفظ الوديعة من ارباب الوديعة ، واحضر لما استحفظ من الاميّين ومن الاعراب المعربين بل من الصبيان قبل الاشغال . وقال ـ رحمه الله ـ « الكتاب لا ينسى ولا يبدّل كلاما بكلام » .

وقال ـ رحمه الله ـ : لا اعلم جارا ابرّ ، ولاخليطا انصف ، ولا رفيقا اطوع ، ولا معلما اخضع، ولا صاحبا اظهر كفاية ، ولا اقل خيانة ، ولا اكثر اعجوبة وتصرفا ، ولا الكف عن قتال وشغب ومراء ، من كتاب ، ولا اعلم شجرة اطول عمرا ، ولا اجمع امرا ، ولا اطيب ثمرة ، ولا اقرب مجتنى ، ولا اسرع ادراكا ، ولا اوجد في كل إبّان ، من كتاب . ولا اعلم نتاجا في حداثة سنه ، وقرب ميلاده ، وحضور ذهنه ، وامكان موجوده ، يجمع من التدابير العجيبة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الاذهان اللطيفة ، ومن الاخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتراخية ، والامثال السائرة ، والامم البائدة ، ما يجمع الكتاب ، والكتاب مع خفة نقله ، وصغر حجمه ، صامت ما اسكته !! وبليغ ما استنطقته ، ومن لك بزائر ان شئت جعلت زيارته غبّا وورود خمسا [٦٩] . والكتاب هو الجليس الذي لا يضر بك ، والصديق الذي لا يغريك ، والرفيق الذي لا يملك ، والمستمنح الذي لا يستزيدك ، والجار الذي لا يستبطئك ، وهو الذي يطيعك بالليل طاعته لك بالنهار ، وفي السفر طاعته لك في الحضر ، لا يعتلّ بنوم ، ولا يعتريه كلال السهر ، ومتى كنت متعلقا به بادنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء .

وقال علي بن الجهم : « اذا غشي النعاس في غير وقت النوم ـ وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة ـ تناولت كتابا من كتب الحكمة » .

وقال ابو عمرو ابن العلاء : « ما دخلت على رجل قط الا ومررت ببابه فرايته ينظر في كتاب وجليسه فارغ الا اعتقدت انه افضل منه واعقل » .

وهذا الكلام اخر كلام الجاحظ ـ رحمه الله ـ في الحث على اقتناء الكتب .

قال المتنبي في نصف بيت : « وخير جليس في الزمان كتاب »[٧٠] .

٣١ [الخرزة الهندية]

ومن التدبيرات السلطانية ، الاعتناء بالخرزة الهندية وبروز الاوامر المسعود بعملها ، ومن وصفها على ما جربه العقلاء : انها اذا كانت في عضد من كان من الناس [او كانت] معلقة [في مكان ما] وكان في

---

(٦٩) كذا الاصل . ولعله : تزدد حبا . كما ورد في القول المأثور : (زر غبا ، تزدد حبا) .

(٧٠) من قصيدة في ثلاثة واربعين بيتا في مدح سيف الدولة الحمداني ، وردت في ديوان المتنبي ، وتمام البيت هو :

اعز مكان في الدنى سرج سابح ... وخير جليس في الزمان كتاب

ذلك المكان ـ والعياذ بالله ـ شيء مسموم من طعام او شراب ؛ او طيب ادخل في بيت ، فان تلك الخرزة تختلج وتضطرب وتعرق .. وصفة تركيبها ؛ مايوصف : يؤخذ عشرة اعين اياييل(٧١) ؛ وحدق(٧٢) عشرة من افاعي او حيات ، اوازنا سواء ؛ ومثل وزن احداهما من طين مختوم ، ثم يسحق كل واحد من هذه الاصناف [الثلاثة] على حدته ؛ ثم ينخل ويجمع الكل ويسحق ايضا سحقا ناعما ، ويجمع في قارورة واسعة الفم ثم يؤخذ جزء من حماض الاترنج ، وجزء من ماء فجل ، ويكون كل جزء [منها] عشرين درهما [وزنا] ثم يؤخذ وزن درهم من بنفسج(٧٣) ، ودرهم درهم [من] مصطك(٧٤) فيسحقا وينخلا ، ثم يقطع من نسج العنكبوت ويلقى الجميع على صلاية(٧٥) مع المائين المذكورين [اي] ماء حماض الاترنج وماء الفجل ، ويترك فيها يومين وليلتين ، ثم يصفى رقيقا ويصب على الحدق ؛ ثم يسد راس القارورة ، وتدفن في تبن حتى تنحل الحدق وتصير كالماء ، ثم تترك حتى يذهب الماء [اي يتبخر] ويقل ، فاذا امكن العجن والاستدارة وضع في جوف قشر بيضة وادير حتى يصير كالجوزة ثم يترك حتى يجف وتذهب ندواته ثم يثقب رقيقا ويترك حتى يجف الثقب ويصير ناعما ابيض ، ثم يصير جوزة ، ويجعل في قرص عجين ويخبز في التنور او يجعل في حوصل طائر ويشوى فاذا استوى الخبز او الطائر يخرج فانه يخرج حجرا سلبا ثم يدخل فيه خيط من ابريسم ويعلق على المضد ، وقد كان ملوك الهند تفعله وتعتمد عليه ؛ وخاصية هذه الخرزة ما تقدم من القول ؛ وهذا مما يجب الضن به واخفاؤه عن الخاصية . ويقال : الملك يحتاج الى كنز سره اكثر من كنز ماله .

٣٢ [الاطلاع على انواع تعابي الجيوش]

ومن التدبيرات السلطانية ، الاطلاع على انواع تعابي(٧٦) الجيوش واستحسان الطلائع(٧٧) وما يصلح من الرجال للكمين وكيفية خروج رجال الكمين فرسانا كانوا ام رجالا ، وما يختار من حال خيولهم .

فائدة ـ وينبغي ان يربطوا السنة خيولهم حتى لا تصهل ، ومما يعرض على المسامع المصونة في كيفية اتباع المنهزمين من البغاة المخذولين ؛ وهو راي الامام الاعظم ابي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ خلافا للامام الشافعي ـ رحمة الله عليه ـ حيث قال : لا يجهز على جريحهم ولا يتبع هزمهم .

ومما يعرض على المسامع المصونة في كيفية اتباع المنهزمين سواء كانوا بغاة او غير بغاة ، فلا يخلو الحال من احد امرين : اما ان يكون المنهزمون ممن يعرفون مكايد الحرب لكي يرجعوا فيقاتلون اصحاب الحمية ممن يتبعهم ، ومن العادة في الرجال الحداد ذوي الخيول السوابق انهم يعجلون في

---

(٧١) واياييل ، جمع الايل ، وهو حيوان معروف .

(٧٢) حدقة العين : سوادها الاعظم ، والجمع : حدق وحداق . (المختار من الصحاح) .

(٧٣) البنفسج : ازهار سنوية او معمرة مشهورة بدوام ازهارها اللطيفة (بيضاء ، صفراء ، بنفسجية) . ومن انواعها البنفسج العطر ، المستعمل في الطب كملين . (النجد).

(٧٤) المصطكي (Mastic) وهو صمغ يعلك ويستخرج من شجر يسمى باسمه ، ومن خصائصه كما في كتب التراث الطبية: فهو حار يابس قابض ، ويقوي المعدة الضعيفة ، ويقوي شهوة الطعام ، ويقطع البلغم ، ويطيب النكهة ، ويجلو الاسماء وينقيها من الرطوبات .

(٧٥) الصلاية والصلاءة ، والجمع صلي وصلي : وهو الجبهة ، حذق الطيب ، وكل حجر يدق عليه ، ولعله يريد به الاناء يترك ليختمر ما فيه ويتبخر من مائه شيء قليل .

(٧٦) كان من صنوف التعبئة عند العرب : نظام الصفوف او الزحف ، ونظام الكراديس ، ونظام الانفتاحات ، والنظام الخماسي حيث ينقسم فيه الجيش الى الميمنة والميسرة وهما في الجناحين ، والقلب حيث مقر القائد العام .

(٧٧) الطلائع : مصطلح عسكري يقصد به الخيالة الذين كانوا يؤلفون الصنف الاساسي في الجيوش العربية القديمة ، والذين يقومون بواجب الاستطلاع والحماية . (مجلة العسكري ـ العدد ١٤ ـ سنة ١٩٦٩) .

الاقدام فاذا فارقوا رفقاءهم بحدّهم وسبق خيولهم فبالضرورة يقلون فترجع عليهم القائلة من المنهزمين خصوصا اذاكانوا حافظين اعنة خيولهم لاستراحتهم؛ فاذا كان الامر على هذه الصورة ورجعوا للمتبعين لهم حصل ما لا خير فيه ، وامر اخر يحتمل ان يكون في المنهزمين ممن له حنّية ومعرفة بامور الحرب فيحرّض اصحابه او يوبخهم او يندمهم فيرجعوا فيقاتلون المتبعين لهم ، واما اذا حققنا امر المنهزمين بخلاف ما ذكر فاتباعهم اولى كما اتفق للشهيد الملك الناصر محمد بن قلاوون(٧٨) ــ رحمه الله ــ مع السلطان بيبرس المظفر(٧٩) لما انهزم وتبعته القائلة بالترتيب المعتبر المؤيد بالنصر ، لم يكن للمظفر حركة مانعة ؛ واخذ وظهر ما قدر الله ــ عزوجل ــ في امره . وقصته في التاريخ مشهورة.

٣٣ [نعت المتثبت وذي العجلة في الحرب]

والداعي يعرض على المسامع المصونة نعت المتثبت في الحرب والعجل ذو الجبنة كما بينه بعض الفرسان ، من فرسان الاندلسيين في شعره وهو الامام الحبر العلامة عبدالمنعم الجلياني(٨٠) ــ رضي الله عنه ــ حيث يقول :

كليني لدفع الضيم يا ام معبد ... فما العز الا في ظلال المهند
فلو كنت يوم الروع ممن يشهد الوغى ... رايت على حر الجلاد تجلدي
ولما اصففنا والخيول تحمحمت ... وكفكفها باللجم كل مجرد
تاملته ما فضل الرجال فلم اجد ... سوى سبق سهم او ثبات مؤيد
فسارعت حتى كنت اول مصلت ... وقارعت حتى كنت اخر مغمد

٣٤ [من يبدا بالقتال ؟]

ومما يعرض على المسامع المصونة ان لا يبدا بقتال حتى يبدا العدو افتداءً بفعل الكليم ، كما قال تعالى في سورة الاعراف : (قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ، قال : القوا!! فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ؛ واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون . فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين)(٨١).

والحكمة في ذلك ان الباغي مصرع . قال الداعي : واما الوقت المختار في الكبس على العدو ؛

---

(٧٨) هو ناصر الدين محمد : (١٢٨٥ ــ ١٣٤١ م) . ابن السلطان قلاوون ، تاسع المماليك البحريين ، جاء الى الحكم بعد مقتل اخيه الملك الاشرف خليل (١٢٩٣ ــ ١٢٩٤ م).عزله كتبغا واستأثر بالحكم . اعيد الى الحكم (١٢٩٩ ــ١٣٤١ م). انتصر على المغول في معركة مرج الصفر (١٣٠٢ م) .حسن علاقته مع البيزنطيين والبلاط البابوي وفرنسا ، شيد القصر الابلق والمدرسة الناصرية . (المنجد في الاعلام) .

(٧٩) هو الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، اصله من بلاد القبجاق حول البحر الاسود ، ثم انتقل الى الملك الصالح الايوبي الذي اعتقه وجعله من خاصته فلقب بالصالحي،عاصر قيام دولة المماليك الاولى في مصر ، وتدرج في المناصب ، ودخل في خدمة الملك المظفر قطز الذي جعله « اتاباكا »على العسكر ، واشترك في معركة « عين جالوت » ضد التتار وابدى شجاعة نادرة ، وخلف الملك المظفر بعد مقتله بعدان اجمع الامراء المماليك على انتخابه ، فدخل القاهرة عام (٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م) واعتد حكمه ١٧ سنة ، بلغت معرحلالها القصى مجد لها ابان العصر المملوكي خاصة بعد ان حالفه النصر ضد الصليبين في الشام فاسترد كثيرا من مدن بلاد الشام .. توفي عام (٦٧٦ هـ/١٢٧٧ م) (القاموس الاسلامي: ج١ ، ص ٤٠٢) .

(٨٠) الجلياني : اديب وطبيب اندلسي الاصل ، دمشقي النشاة ، يعرف بحكيم الزمان ، وهو ابو الفضل عبدالمنعم بن عمر الجلياني ، نسبة الى جليانة من نواحي وادي آش بالاندلس ، ولد عام (٥٢١ هـ/١١٢٦ م) . وانتقل الى دمشق وعاصر دولة صلاح الدين ، وله فيه مدائح شعرية عديدة، كما اشتغل بالطب مباشرة وتصنيفا ، له « روضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر » وله « رسالة في صفات الادوية المركبة » توفي بدمشق عام (٦٠٢ هـ/١٢٠٥ م) في خلافة العادل الايوبي (القاموس الاسلامي : ج١ ،ص ٦٢٤) .

(٨١) سورة الاعراف ، الاية : ١١٥ ــ ١١٩ .

فقال الله تعالى في السورة المذكورة : [أفأمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون . او امن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون](٨٢). وقد اتفق لزيتون فارس « صفد »(٨٣) ، وكان من الافرنج ، وكان اذ ذاك صفد للافرنج . فكان زيتون يجمع الفرسان الافرنجية ويلعبون بالرماح وغيرها ، ويقول : اين الظاهر ؟ وكان للملك الظاهر ببيبرس هناك عين ، فبلغ السلطان الملك الظاهر ـ رحمه الله ـ مقالة زيتون ، فارسل [اليه] الامير علم الدين سنجر الحلبي الشهير بالاعور ، فتوجه الامير المذكور الى صفد بعدته وهم مائة فارس مخبورة[اي خبرت فنون الحرب] فوافاه زيتون ورفقته وهم يلعبون على عادتهم ضحى فقبض عليهم وقتل من قتل [منهم] ، فرجع [الامير] وصحبته زيتون وجماعة من الذين سلموا من القتل الى الملك الظاهر وكان يوما مشهودا .

٣٥ [العدول عن الحرب والتماس الصلح حماية لامن المجتمعات]

ومما يعرض على المسامع المصونة اذا وقعت حرب ان يبدأ الملك بارسال رسله للعدو ويلتمس منه ان ينزل عن الحرب الى الصلح على ما امرت به السنة المطهرة واقتضته الشريعة ، فان ابى العدو وتكبر وعاند فقد بغى [فعندئذ] يستعين الملك بالله عزوجل ويقاتلهم .

قال الداعي : في التماس الصلح من العدو فوائد : من ذلك : [الاول] ـ اتباع السنة . والثاني ترك البغي . والثالث ـ اخماد نار المقاتلة . فان اذعنوا الى الصلح فيتحقق ذلك منهم ، هل هو حقيقة او مجازا [اي خدعة] ، فان كان مجازاداهمهم الملك بجيشه قبل حركتهم وقبل تعبيتهم . واما ما تعتمده نواب السلطان ـ خلد الله ملكه ـ في الثغور كالاسكندرية وطرابلس وصفد ودمياط [وغيرها من المدن] وغير [نواب السلاطين] الذين هم بمرصد من العدو المخذول الذي لا يفتر عن تجديد آلات الحرب في الليل والنهار ـ جعلهم الله غنيمة للمسلمين ـ فان حيل حفظ الحصون اهم واكثر من قتال المواجهة ، وسواء كان [الجند] محاصرا او محصورا فلكل منهما امر يختص به وادعية مخصوصة اذكرها ان شاء الله تعالى في الباب الثاني في سياسة الصناعة الحربية . وقد ذكرت في كتاب سميته « المنهل العذب لورود اهل الحرب » ما يختص ببعض كيفية ترتيب المحاصرين . خرم [....] .

٣٦ [ذكر القبضة على مقبض القوس والعقد على الوتر]

خرم [.....]

وطرف السبابة هو الفتر ولا حاجة لنا لذكر غير الشبر والفتر .

فصل : واما العقد بها فالخنصر والبنصر والوسطى ابدا لعقد الاحاد ؛ والاحاد تسعة ، وهذه الاصابع ثلاثة فلا تسع عقد التسعة الا بتبديل احوالها . فاذا اردت الواحد ضممت الخنصر وحدها مع اخفاء ظفرها الى اصلها ضما محكما فتنطوي العقدتان اللتان فيها فتعد ذلك واحد .

واذا اردت الاثنين ضممت البنصر معها على تلك الصفة فعند ذلك اثنان .

واذا اردت الثلاثة ضممت الوسطى معها على تلك الصفة فعند ذلك ثلاثة .

واذا اردت الاربعة تركت الوسطى والبنصر على تلك الصفة على حالهما ورفعت الخنصر وحدها فعند ذلك اربعة .

---

(٨٢) سورة الاعراف ، الاية : ٩٧ ـ ٩٨ .

(٨٣) صفد : من مدن فلسطين ، احتلها الصليبيون ، وجعلها الفرسان الهيكليون احد حصونهم الدفاعية المهمة . حررها صلاح الدين الايوبي عام (٥٨٣ هـ/١١٨٨ م) . (المنجد في الاعلام) .

واذا اردت الخمسة ضممت الوسطى وحدهاورفعت الخنصر والبنصر فعند ذلك خمسة .

واذا اردت الستة ضممت البنصر وحدهاورفعت الوسطى والخنصر من حواليها فعند ذلك ستة ، وهذا العدد مع اخفاء ظفرهم ، واما العددالباقي فاظهار ظفرهم .

واذا اردت السبعة طويت الخنصر وحدها معاظهار الظفر بها وجعلت طرفها على اللحمة التي على راس الوسطى ، ومددت باقي الاصابع .

واذا اردت الثمانية جعلت بالبنصر معها علىتلك الصفة فعند ذلك ثمانية .

واذا اردت التسعة جعلت الوسطى معهما مثلتلك الصفة فعند ذلك تسعة .

فصل : واما السبابة والابهام فهما ابدا لعقدالعشرات ، والعشرات تسع .

كما قد تقدم في الآحاد فلا تسع فيها الا بتبديلاحوالهم .

فاذا اردت العشرة جعلت طرف ظفر السبابةفي باطن طي العقدة العليا من الابهام فعند ذلك عشرة .

واذا اردت العشرين جعلت طرف الابهام مابين السبابة والوسطى ويكون ما بين العقدتين ، ويكون وسط عقدة السبابة على ظهر اصل ظفرالابهام ، فعند ذلك عشرون .

واذا اردت الثلاثين جعلت باطن طرف السبابةالى باطن طرف الابهام ، فعند ذلك ثلاثون .

واذا اردت الاربعين لويت الابهام على ظهرالسبابة حتى تضع باطن طرف الابهام على العقدة الوسطى من السبابة ، فعند ذلك اربعون .

واذا اردت الخمسين طويت طرف الابهامقليلا الى الكف ولصقته مما يلي باطن اصل السبابة فعند ذلك خمسون .

واذا اردت الستين تركت الابهام على حالها فيالخمسين ولففت عليها السبابة على اصل ظفر الابهام لفا محكما حتى يحويها طرف الابهام الىباطن الكف فعند ذلك ستون .

واذا اردت السبعين جعلت طرف ظفر الابهامما بين العقدتين من باطن وسط السبابة العليا ولففت طرف السبابة على طرف الابهام لفا محكمافعند ذلك سبعون .

واذا اردت الثمانين وضعت طرف السبابةعلى طرف ظفر الابهام وجمع ظفريه ، فعند ذلك ثمانون .

واذا اردت التسعين ضممت طرف السبابةالى اصل الابهام من داخل ضما محكما حتى تنطوي العقدتان اللتان فيها ، فعند ذلك تسعون .

واذا اردت المائة تسريح الاصابع كلها مع الكفعند عرب العرباء علامة للمائة .

واصبع واحد من اليد اليسرى مائة ، وكذلكالمئات والالوف وهكذا الى عشرات الالوف ، والله اعلم بالصواب .

وقد تبين احتياج لصاحب صناعة الرمي لهذاالعقود واضطراره اليه عند ذكر القبضة على مقبض القوس والعقد على الوتر وغير ذلك .

واما العقود : فلنعرض على المسامع المصونة !قال الاستاذ : اما العقود المجمع عليها عند اهل صناعة الرمي ستة ، وهي ثلاثة وستون ، وتسعةوستون ، واثنتان وسبعون ، وثلاثة وسبعون ، وثلاثة وعشرون واربعة وعشرون ، يسمى هذاالعقد (خسرواني) . واثنتان وسبعون ويسمى

هذا العقد (الرديفي) . وما عدا هذه العقود الستةقليل النفع والفائدة للرمي ؛ وهذه العقود مخصوص للرمي فاعلم !!.. واحسن هذه العقود واقواهـاواشدها وانكاها واعظمها فائدة ومنفعة عقد ثلاثة وستين ، ويليه عقد تسعة وستين وهو اضعـفمنه واقل قوة ، لكن زعم قوم من بعض الرماة انها اسلس للاطلاق : واحـد للسهم . قال الاستاذ ـرحمه الله ـ : يجب على الرامي ان يفعل وقت الرمي اربعة شداد ، القبضة بالشمال ، والقفلةباليمين ، والعقد بثلاثة وستين ، وشد يده اليسرى كلها مع منكبه، وثلاثة ليست : وهي السبابة منااليدااليمنى ؛ والسبابة والابهام من اليد اليسرى ، وانسهم في حال الجنبذ ؛ واربعة ساكنة ؛ وهي :الراس والسنق والقلب والوقوف للفرض ساكنا ؛ ثابت القدمين ، ساكن الجنبين . وخمسة مستوية ،وهي : المرفق اليمنى والنصل والفوق ـ اعني الكاز ـ والنظر والوقوف والاستواء ، ومعنى الاستواءهنا : هو ان لا ينحنى بوسطه ، ولا يميل شيئا من اعضائه ، بل يكون ذلك كله منه مستويا منتصبا .واربعة يجب حفظها من المقدار ، وهي معروفة عند اهله : مقدار قوسه من الشدة واللين ، ومعرفةمقدار سهامه من الخفة والثقل ، وايضا معرفة الاوزان الوتري ، فافهم ذلك !!.

واما مرور السهم الرامي وذهابه بسرعة وقوةتكاد انامله مثل الذي تقطر دما ، ومن عقده على الوتر بثلاثة وستين ، ومن قوة افلاته ومن نفضيديه مستويتين وفتحهما سواء حين الافلات .

فصل : واما ما يجب على الرامي تجنبه وتركاستعماله فالجر الى اليد(٨٤) الايمن ، والجر الى المنكب الايمن ، والجر الى الصدر ، والجر علىالحاجب الايمن ، والجر على الجبهة ، واسترخاء القبضة وترك العقدة وترك الفتحة ، وضم فوقالسهم ، وخروج صدره ، واعوجاج الذراع اليسرى وتبعيد مقبضة القوس عن زنده اليسرى قدر عرضاصبعين او اكثر ، وهذا كله قبيح ، ومن ذلك ان يجعل الابرنجك فيكفه . قالالقن : ويخشى ان ذلك من كسر القوس وميلان راسه على منكبه وفتح احدى يديه عند الافلات دون الاخرى او قلبها وتركاستيفاء السهم ، وقد قال الرماة : الوفاء نصف الرمي ونصفه الثاني في شدة القبضة واحكام العقدةوالاطلاق وثبات الشمال .

٣٧ [من فنون الرمي بالقوس]

ومما يعرض على المسامع المصونة ما صح عنرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم احد لما قال لسعد ولابي طلحة وكانا يرميان بين يديه :(ارميا فلن يزال النصر معنا مارميتما !!) . وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن القوس : (اللهم منااستنصرك بها فانصره !!) . فصاحب الرمي بدعاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا شك منصور ،وقاهر لا مقهور ، وانه قد كثرت الاحاديث النبوية في ذكر الرماية دون غيرها ؛ وان كنا نعلم معشرالجند ان احاديث نبوية وردت في ذكر الرمح ، ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم كان له من الرماحاربعة ؛ ومن السيوف ثمانية وقيل سبعة وقيل احد عشر ؛ ومن القسي ستة ؛ ونصب المنجنيق(٨٥)على الطائف(٨٦) صلى الله عليه وسلم ؛ وحاصرهم

---

(٨٤) كذا الاصل ؛ ولعله : الزند .

(٨٥) المنجنيق ، وجمعه منجنيقات ، ومجانيق ، ومجانق :معربة عن الفارسية ، وقيل أصلها يونانية ، وهي من آلات الحرب التي ترمى بها القذائف ، وقد عرف العربالمسلمون انواعا من المنجنيقات ، منها :
اولا ـ لرمي السهام والنبال اذ توضع في المنجنيقالواحد عدة سهام وترمى عنها بالاقواس الى مسافات بعيدة وبقوة خارقة .
ثانيا ـ لرمي الحجارة لتهديم الحصون بالحجارة الضخمة
ثالثا ـ لرمي قدور النفط او الكرات المشتعلة بالناراليونانية ، وذلك لاحراق مواقع العدو .

(٨٦) وفي سيرة ابن هشام ان رسول الله ـ صلى الله عليهوسلم ـ اول من رمى في الاسلام بالمنجنيق ، رمى به اهل الطائف .

ثمانية عشر يوما ، واستشهد من المسلمين اثنا عشر رجلا ، وقاتل فيه صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وكانت الغزوة في شوال ، وقد مدحت القوس بمدائح كثيرة فمن ذلك ما قيل فيها :

هي القوس التي بالنصر قد قرنت بفضلها جاء وحي الله والكتب

وقال آخر :

ذر الخطي يثني معطفيه فان لاسهمي فضلا عليه
اذا كان العلى قتل الاعادي [. . . . .] اسرعنا اليه

وقد مدح الحسبان[٨٧] الذي هو المجرا ، فقال المادح :

انا الشكل الذي لابد مني لارباب المناصب والعطايا
اذا شئت تخبرني اختبرني اذا نصبت عليّ ذوي الجنايا
تخاف الاسد حين ترى سهامي وتبزر[٨٨] للاقاني المنايا

قال المؤلف : وما اكثر فوائد الرمي بالحسبان، فمن جملة فوائدها ان نبلها لا يرى ليتقى .. ومن فوائدها : أن سهمها يبعد الى غاية بعيدة خمسمائة ذراع . ومن فوائدها : ان سهمها سريع النفوذ. ومن فوائدها : انه يمكن الانسان ان يستصحب معه الف سهم . ومن فوائدها : ان الشيخ الهرم يقتل خصمه بالين قوس . ومن فوائدها : ان سهمها لايحتاج الى كلفة عمل بل يعوّض خشبها بقلم معتدل، واحسن ما يرمى عنها اذا كان الرامي قد تمهر فيها وتدرب بمريها ولم يبط في تغويقها . واحسن رميها ان لا يخطر الرامي بها ، ومتى فعل ذلك اعيب عليه ولم يخرج سهمه كما ينبغي وان لا يرفع ابهامه اليسرى فيصيبه النبل . كما اتفق للامير آق سنقر الناصري[٨٩] انه كان ذات يوم يرمي بالحسبان فدخل النبل في ابهامه ، وسبب ذلك انه كان يرمي بغير استاد . ومن بديع ما مدح الشيخ جمال الدين محمود بن سلمان الحلبي احد موقع السلطان الملك الظاهر ـ تغمده الله تعالى برحمته ـ في وصف رمي النشاب وبعد : فان الرمي افضل ما اعدّ للمدى ، واكمل ما افيض به على اهل الكفر رداء الردى ، وابلغ ما يبعث الى المقاتل من رسل المنون ، وانفع ما يقتضي به في الوغى من اعداء الدين الالدّاء، واسرع ما يبلغ به المقاصد فيما يرى قريبا وهو ابعد ما يكون وانكى ما يقذف به عن الاهلة شهب الحتوف ، واسبق ما تدرك به الاعراض قبل ان تعرف بها الرماح او تشعر بمكانها السيوف . ومن اسباب فضل الرمي التي اصبح بها قدره ساميا : ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لفتية ممن اسلم من اسلم : (ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان رامبا)[٩٠] ومما عظمت به على الامة المنّة ، وغدت به نفوس اهل الجهاد في الدنيا والاخرة مطمئنة قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخرم الثاني [. . . . .] الهمز ، ومن اخضر حكاد من الروض تقويمه ، ومن الوشي تقسيمه وتاليفه قد كساه الليل والنهار حلتي وقار وسنا ، واجتمع فيه من السواد والبياض ضدان لما اجتمعا حسنا ، ومنحه الباري حلة وشيه ، ونحلته الرياح نسماتها فوق ركضه ، وخفة مشيه . يعطيك افانين الجري قبل سؤاله ، ولما لم يسابقه شيء من الخيل اغراه حب الظفر بمسابقة خياله كانه تفاريق شيب في سواد

---

(٨٧) انظر الهامش رقم (٥٦) .

(٨٨) كذا الاصل .

(٨٩) الامير آق سنقر الناصري : وهو احد مماليك السلطان الناصر قلاوون ، زوجه احدى بناته ، وعينه واليا على طرابلس ، وكان محور السياسة المصرية ابان حكم السلاطين من ابناء الملك الناصر ، له مسجد باسمه بشارع باب الوزير بالقاهرة بناه عام (٧٤٧ هـ/١٣٤٧ م) وتوفي في السنة التالية . (القاموس الاسلامي : ج١ ، ص ١٥٠) .

(٩٠) رواه البخاري في صحيحه عن سلمة بن الاكوع ـ رضي ـ قال : مر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على نفر ينتضلون « من النضال ، اي يترامون بالسهام للسبق » فذكر الحديث .

عذار ، ومن أبلق ظهره حرام ، وجزيه حرام ؛ ان قصد غاية فوجه الفضا بينه وبينها عذم ، وان صرف في حرب عمله ما يشاء البنان والعنان ، وفعله ما يريد الكف والقدم ؛ واشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار ، لا تكل مناكبه ؛ ولايضل في حجرات الجيوش راكبه ، ولا يحتاج اليه المترق بمجاورة نهاره الى ان تسترشد فيه كواكبه ، ولا يجاريه الخيال فضلا عن الخيل ، قد اغتنه شهرة نوعه في جنسه عن الاوصاف .

٣٨ [ادعية فتح الحصون]

ادعية فتح الحصون : وهو ما رواه صفوان بن عمرو عن الاشياخ : ان حبيب بن سلمة ــ رضي الله عنه ــ كان يستحب اذا لقي عدوا او ناهض حصنا فقالها ثلاث مرات (لا حول ولا قوة الا بالله)(٩١) وانه ناهض يوما حصنا فقالها ثلاث مرات ، وقالها المسلمون فانهزم الروم وانصدع الحصن .

وروى ابن هبيرة بسنده الى القاضي أبي المعالي عبدالرحمن بن علي بن عثمان المغيري المخزومي ، عن حبيب بن سلمة الفهري : انه امر على جيش فدرب الدروب ، فلما أتى العدو قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : (لايجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم الا اجابهم الله) ، ثم انه حمد الله تعالى وأثنى عليه ، وقال : اللهم احقن دماءنا ، واجعل أجورنا أجور الشهداء!! فبينما على ذلك اذ نزل الهنباط امير العدو فدخل على حبيب بن سلمة في خيمته وسلم عليه . ومن عجيب ما اتفق ان الفرس جاءوا الى مدينة الكرخ في ثمانين فيلا وكادت تنقض الخيول والصفوف ، فشق ذلك على محمد بن القاسم فنادى عمران بن النعمان امير اهل حمص ، فامر الاجناد فما استطاعوا ، فلما اعيته الامور نادى مرارا (لا حول ولا وقوة الا بالله) فكف الله ــ عز وجل ــ الفيلة بذلك ، وسلط عليهم الحر فانضجها ففزعت الى الماء فما استطاع سوامها ولا اصحابها حبسها فحملت الجند عند ذلك ، وكان الفتح باذن الله ــ عز وجل ــ

عن انس ــ رضي الله عنه ــ عن ابي طلحة ، قال : كنا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في غزاة ، فلقي العدو فسمعته يقول : (يا مالك يوم الدين ، اياك أعبد واياك استعين !!) . قال : فلقد رايت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين يديها ومن خلفها .

وعن عبدالملك بن اخت سهم بن حنجاب ، قال : سمعت سهما يقول : غزونا مع العلاء بن الحضرمي « داران » ، قال . فدعا بثلاث دعوات ، قال : فنزلنا منزلا ، وطلبنا الوضوء فلم نقدر عليه ، فقام فصلي ركعتين ، ثم دعا الله ــ عز وجل ــ فقال : اللهم يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم !! انا عبيدك ، وفي سبيلك نقاتل عدوك ، فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضأ من الاحداث ، واذا تركناه فلا يجعل لاحد فيه نصيبا غيرنا ، قال : فلما جاوزنا فير بعيد فاذا نحن بنهر من ماء سماء يتدفق ، فنزلنا ، وملأت اداوتي(٩٢) وتركتها وقلت لانظرن ، هل استجيب له ؟ قال : فسرنا ميلا او نحوه ، فقلت لاصحابي : اني نسيت اداوتي ، فذهبت الى المكان فكأنما لم يكن فيه ماء ، فأخذت اداوتي وجئت بها ، فلما اتيت « داران » ورأينا العدو وبيننا وبينهم البحر فدعا الله ايضا ، فقال : يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم !! انا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك ، فاجعل لنا سبيلا الى عدوك !! ثم اقتحم البحر بنا ، فوالله ما ابتلت سروجنا حتى خرجنا اليهم ، فلما رجعنا ، اشتكى البطن فمات ــ رضي الله عنه ــ فلم نجد ماء نغسله به ، فلففناه في ثيابه فدفناه ، فلما سرنا غير بعيد واذا نحن بماء

---

(٩١) انظر الهامش رقم (٦) .

(٩٢) الاداوة ، والجمع اداوى : وهو الاناء الصغير ، يصنع من الجلد . (المنجد في اللغة) .

كثير ؛ فقال بعضنا لبعض ارجعوا نستخرجه فنغسله ، فرجعنا ، فطلبنا قبره فخفي علينا قبره ، ولم نقدر عليه ؛ فقال رجل من القوم : اني سمعته يدعو الله يقول : اللهم يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم !! اخف جسمي ولا تطلع عوراتي احدا ، فرجعنا وتركناه . وهذا ما اختصره القن من كتاب « السر المصون فيما يقال عند فتح الحصون »(٩٢) تخريج الامام الحافظ العلامة تقي الدين عبيد الاسعردي وبخطه ـ رضي الله عنه ـ(٩٣) وسبب ذكري له للتبرك بما في الكتاب المذكور .

٣٩ [عدة خيل النبي ـ صلى الله عليه وسلم]

ومما يعرض على المسامع المصونة ذكر عدة خيل النبي(٩٥) ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي : السكب ، المرتجز ، اللزاز ، الضرب ، اللحيف ، الورد ، الابلق ، ذو العقال ، ذو اللمة ، المرتجا ، المرتجل الروّاح ، السرحان ، اليعسوب ، اليعبوب ، البحر ، النجيب ، الادهم ، السخاء ، السبّل ، ملاح ، الظرف ، الفرس ، مندوب ، سبحة .

ومن البغال : دلدل فضة الايليّة ، وبغلة اهداها له كسرى ، واخرى من دومة الجندل ، واخرى من النجاشي ، واخرى اهداها بن العلما لنا في اختصار علم الثقافة .

٤٠ [في اختصار علم الثقافة]

قال القن محمد بن منكلي : لما طالعت كتاب الملك لاون اليوناني ـ وهو مؤلف هذا الكتاب ـ الذي سماه « مراتب الحروب » رأيت كتابا نفيسا صالحة مطالعته للجندي ولمن يبتغي الجهاد في مرضاة الله تعالى ؛ وفيه ضوابط عجيبة تختص بقتال المسلمين ، وقصد الداعي ان يشرحه ان شاء الله تعالى هذا ان كان قد بقي في العمر مهلة ، فقال: صناعة الحرب : هي المعرفة بكيفية تحرك المحاربة، ويتهيأ لها ، وحدّ التقدمة : هو الدراية بالقتال في الحرب . قال القن : تحرك المقاتلة على قسمين : قسم يتعلق بكيفية القتال على الخيل ، وقسم يتعلق بكيفية القتال على الاقدام ، وسأذكر بعض كيفية القتال على الخيل مسرجة ومعرورة ، ويبتدا اولا بكيفية الرمي على الخيل وقت القتال بحسب ما أعرفه وتعلمته من مشايخي ـ رحمة الله عليهم اجمعين ـ وكذلك من طعن برمح ، وضرب بسيف ، وعمل بدبوس وعمود ، وعمل بمخصرة وهي المقرعة. وسأذكر الكل ان شاء الله تعالى . وكلام القن مع أشكاله من الجند لامع غيرهم .

---

(٩٢) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ، للاسعردي . كماذكر كتاب « السر المصون في العلم المكنون » للشيخ محمد منكلي ، ذكره في الجفر . (كشف الظنون ج٢ ص٩٨٩) .

(٩٣) وهو عبيد بن محمد بن عباس الاسعردي ، المتوفى سنة٢٩٢ هـ (كشف الظنون : ج٢ ، ص ٩٨٩) .

(٩٥) ورد ذكرها ايضا مع شرح معانيها في كتاب « حياة الحيوان الكبرى » للدميري ، عن السهيلي في كتابه « التعريف والاعلام » قال : واما خيل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاسماؤها : (السكب) وهو من سكب الماء كانه سيل ، والسكب ايضا : شقائق النعمان ، وهو اول فرس غزا عليه رسول الله ، اشتراه من اعرابي من بني فزارة بعشرة اواق بالمدينة ، وكان ادهم ، واسمه عند الاعرابي (الضرس) فسماه النبي السكب ، و (سبحة) وهو الذي سابق عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسبق ، ففرح بذلك . و(المرتجز) وسمي بذلك لحسن صهيله اذ شبه بالرجز . و (اللزاز) ومعناه انه لا يسابق شيئا الا لزه اي البته والصقه . و (اللحيف) سمي بذلك كانه يلحف الارض بجريه ، وكذلك يقال (اللحيف) بالخاء المعجمة ، ذكره البخاري في جامعه من حديث ابن عباس . و (الورد) اهداه له تميم الداري فاعطاه الى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فحمل عليه في سبيل الله . وهذه الافراس متفق عليها ، وقيل كان له ـ صلى الله عليه وسلم ـ غيرها وهي (الابلق) و (ذو العقال) و (المرتجل) و (ذو اللمة) و (السرحان) و (اليعسوب) و (البحر) وكان لونه كميتا . و(الادهم) و (ملاوح) و (الظرف) بكسر الظاء المهملة و (السخاء) و (الراوح) و (المقدام) و (مندوب) و (الضرير) .هذا ما ذكره السهيلي في الفرسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجملته خمسة عشر فرسا ، وقد بسط الكلام عليها الحافظ الدمياطي . (حياة الحيوان الكبرى : ص ٢٨٢) .

٤١ [حركة المقاتل على فرسه]

ممن لوازم علم الجناد ما سأذكره فصلا فصلا : اما حركه المقاتل على فرسه اذا كان راميا وهو في حرب المشركين او البغاة فيلزمه امور كثيرة : ان يكون ممن يحسن الطراد على الخيل بحسن الرماية وسرعة الالتفات بفرسه ، ومعرفة الخطرات في اوقاتها عند طلبه لعدوه اما مواجهة أو محاذاه او ادبارا له او لخصمه ، كل ذلك لا بد له من حركة يختص بها الرامي اليقظ . وهذه الامور كلها الحربية لابد وان يكون فرس الجندي تحت فهر اللجام ، ومتى لم يكن الامر على هذه الصورة والا فلا يصلح للجندي أن يباشر شيئا من أمور الحرب جدا ولاهزلا وكذلك لا خير في انتصاب مؤخرة السرج لما فيها من الضرر على الجندي في الحرب ووقت الاعمال على الخيل . ومتى ما كانت مؤخرة السرج منتصبة منعت الفارس من أنواع الحركات .

٤٢ [وقت الاحتياج لمباشرة الرمح في التشديدات]

ومن لوازم الجندي علم[٩٦] على الحركات في سرجه وقت الاحتياج لمباشرة الرمح[٩٧] ، وفي التشديدات الامهات الاربع ، الاول : التشديد الثغري ، والثاني : التشديد الرومي وايضا يقال له الشامي ، والثالث : التشديد الخراساني ، والرابع : التشديد اليماني ويقال له الديلمي .

وصفة التشديد الثغري : ان تاخذ من اسفل الرمح على قدر قيد اربع اصابع او ازيد منه بيدك اليمنى ، ثم تقبض بيدك اليسرى على الرمح مع العنان ، وكفك من تحت العنان مع الرمح وتمسك بيدك اليسرى على قيد ذراع من الرمح او أرجح منه قليلا ، ولا تخرج يدك كثيرا عن خد فرسك الايمن فتلطمن . وشدد مع خد فرسك الايمن وتستلقي نفسك قليلا عند هذا التشديد ولا تستلقي استلقاء فاحشا وكذلك تشديد يسرة مثل ذلك ان قدرت على فعله .

واما التشديد الرومي ايضا ويقال له الشامي : هو ان تاخذ الرمح بيدك اليمنى على قدر قيد ذراع او ازيد وتجعل اسفله تحت ابطك الايمن وتلصق الرمح بخد الفرس الايمن فهذا التشديد الرومي . فاذا اردت التشديد يسرة خذ الرمح من خده الايمن ، وحول الرمح الى ميامن خده الايسر واجربه راس الفرس من تحت ابطك الايمن فهذا هو التشديد الشامي . وان كنت واثقا من نفسك عملته

---

(٩٦) كذا الاصل .

(٩٧) يجمل بنا هنا ان نوضح الشيء الكثير عن الرماح لما لها من اهمية في ميدان الحروب القديمة عند الامم التي اشتهرت بالفروسية ، ومنها امتنا العربية كسلاح مهم من اسلحة الفرسان : الرمح او الزراق : عود طويل من اجود انواع الخشب او نحوه ، وفي راسه زج من حديد وهو سنان او حربة ، وجمعه رماح او ارماح ، يقال : رمحه اي طعنه بالرمح ، والرماحة : صناعة الرماح ، والرماح (بتشديد الميم) وهو متخذ الرمح ، ويقال : رمحه الفرس اي رفسه .
والرماح من اسلحة الحرب القديمة وهي شائعة بين الشعوب الفطرية وعرفها العرب قبل الاسلام ، واتصل تاريخها بالامم التي اشتهرت بالفروسية ذلك ان الرمح من اسلحة الفرسان ، ويصنع عود الرمح من الخشب اللدن او من القاب او من عود معدني مجوف ، ويبلغ طول الرمح في الجملة نحو ثلاثة امتار ويزن بعضه نحو اثنين من الكيلو غرامات ، وكانت اسنة الرماح العربية تختلف ما بين المشطب والعريض والرقيق والمعوج والمستوي والمعوج ، ومن اشتهر بصناعة وتسوية الرماح امراة جاهلية تصرف باسم « رديئة » فمن ثم قيل الرمح الرديني نسبة اليها .
وكانت الرماح في الجاهلية وفي العصر الاول من الاسلام تعقد براؤوسها الالوية وكان عملها الفرسان في المواكب او اللعب بها في الميادين امام السلاطين ، اما في الحرب فكان يقاتل بها الفرسان على الخيل ، ومن الوصايا في استخدام الرماح في الحرب قول الحسن العباسي ، مؤلف كتاب « آثار الاول في ترتيب الدول » : « ان اللعب بالرمح في الميادين وبين يدي الملوك غير التحرك به في الحرب ، منها المواجهة وهي ان تحمل على مبارزك وقد اخذت الرمح تحت ابطك وجعلته بين اذني فرسك وتقصده مستويا حتى تقرب منه ، فان رايته قد طرح رمحه يمنة فاطرح رمحك يسرة ، وان طرحه يسرة فاطرح رمحك يمنة ، واجتهد ان تبدا بالحمل عليه كي تدهشه فلا يدري من اين تجيئه » . (القاموس الاسلامي ج٢ ، ص ٥٧١) .

بيسارك كما عملت بيمينك ، وقالوا هذا هو ضعيف الا انه مخدعة للفرسان ان صح . وأما التشديد الخراساني : فهو ان تأخذ بيدك اليسرى من الرمح على قدر ذراع او ازيد وتكون يدك اليسرى من تحت العنان وتلزمهما على كاهل الفرس واسفل الرمح بيدك اليمنى ، قد فضلت منه قدر مقدار اربع اصابع او ازيد حتى لا يدخل اسفله في كمك الايمن ، وتلزم كفك الايمن ابزيم منطقتك ـ يعني الحياصة ـ مع اسفل الرمح وتلصق ساعدك الايمن مع مرفقك بجنبك الايمن ، وتخرج مرفقك الايسر خروجاً شديداً من يدك وتتورك على يمينك وتنفتل باعلاك يكون رمحك على خاصرتك اليمنى ملصقاً الصاقاً شديداً ، ويكون الرمح مع خد فرسك الايسر قريباً من أذن الفرس ، واتكيء في ركابك الايسر قليلا منك باعتدال منك في سرجك لا تزيل مجلسك ولا رجليك ويكون بابعاد المهمازين عن جنب الحيوان بلطافة ولا يمسه جنب الحيوان الا عند الحاجة حتى تصير منكبك الايسر واذن فرسك الايسر وراس رمحك كلها تكون سواء على خط واحد ، فهذا هو التشديد الخراساني غاية ، والنهاية لمن يفعله ، فافهم ذلك !! .. فاذا اردت ان تشدد يمنة فعلت العكس .

وأما التشديد الديلمي وايضا يقال له اليماني : فيؤخذ الرمح على قدر ثلاثة اذرع من يدك اليمنى وكفك اليمين تحت الرمح ، وذراعك الايمن وهو ملصق على الرمح وهو باب ضعيف جدا الا ان الديلم تأخذ الرمح على أخذ المزراق .

وهذه الاصول الاربعة كلها من كلام الختلي ـ رحمة الله عليه ـ فانه بت في الاسلام زمانا قضايا حربية ـ جزاه الله هنا معشر المسلمين خيرا ـ ومن اشتغل كلامه وتمهر على شيخ عارف بامور الحرب اكل افطاعه حلالا ، ونفع سلطانه وقت الاحتياج لقتال من يتعين قتاله شرعا من كافر او باغ .

٤٣ [التخصص بمعرفة الثقافة بالسيف]

ومن لوازم الجندي [ان] يختص بمعرفة الثقافة بالسيف او بالدبوس والحركة على الفرس او راجلا به بمعرفة المضارب الستة مع معرفة العمل بقلب السيف عند الاحتياج لذلك . واما المضارب الستة : فالضرب شزرا ، والضرب قداما ، والضرب ردا ، والضرب خلفا ، والضرب دبرا ، والطعن بمجا ، والضرب سفلا .

وينبغي بيان ذلك لساداتنا الاجناد : فاقوى الضرب ما كان ردا لا قداما . وشزرا : وهو ان يثني يده اليمنى حتى يصير الكف على رمانة الكتف الايسر برشاقة وقوة في الرد والضرب معا ، وكذلك الشزر مثله . واما الضرب قدما ـ اعني قداما ـ وهو ضرب الوجه الذي امامه طولا ، يعني برفع يده حتى يصير كفه محاذيا بحد اذنه الايمن ، وهذا هو ضرب الوجه .

واما الضرب دبرا كالضارب وجه الذي تتعلق به من ورائه . واما الضرب خلفا فتكون ضربته مثل ضربه شزرا ، وكذلك ردا مثل ذلك . وأما الضرب بمجا وهو الطعن بالسيف ـ اعني على الذي قدامه ـ فينبغي للباعج ان يؤخر يده اليمنى الى خلفه ما استطاع ثم يبعج وهي جيدة في وقت العمل بها . واما الضرب سفلا ، هي ضربة الطريح من العدو وغيره اذا تحققنا غلبت ضربته ، مثل ضربة الصيد كالغزال والضبع والارنب وما شاكله ، فلا يضرب الا بقلب السيف فليكن ذلك لتمكن الضرب فيه ، ولو ضرب بغير ذلك كان كافيا ، لكن هذه الضربة انكى وليكون عند ضربه حد السيف برا حتى لا يضرب يد الفرس ، فاعلمه ذلك !!..

والداعي يبين غير ذلك ، وذلك اذا ضرب الضارب بسيفه يسرا فانها ضربة ضعيفة وقد عرض

---

(٩٨) كذا الاصل .

وقع السيف من يده . واحسن الضرب ما ضرب به سفلا لاجتماع ثقل الحديد واليد مع القوه عند الوقع واضعفها ماضرب به علوا لمضاددة ثقل الحديد واليد مع قلة القوة وأمكنها ماضرب به قداما وشزرا او ردا كما ذكر قبل واضعوها .

ما ضرب به دبرا كما تقدم ذكره . وهي ضربة مرفوضة مكروهة لكن عند الضرورة يفعل . قال القن محمد بن منكلي : وانما كره الفرسان هذه الضربة اذا كان الخصم راجلا ، واما اذا كان الخصم فارسا فلا بأس بها ، فلم يحسن ذلك الا بجولان فرسه والخروج من بيت الخسارة بسرعة العطف، وهذا وقت الفرس المعطوف المطواع المبارك ، فلاأخلا اعدم الله(٩٨) لجندي لمثل هذا الفرس .

واما انواع البعج بالسيف فانقفها ما كان البعج قدما . واسمجها . ما كان البعج دبرا ، واقواها ما كان الشك بذبابة السيف سفلا لاجتماع الثقل مع النصل واليد مع القوة في العمل ، وقد جربها القن في وقت الضرورة ، واضعفها ما كان الطعن به علو المضاددة ثقل الحديد ولقلة القوة ؛ وامكنها ما كان قداما واضعفها ما كان يسرا ، واعسرها ما كان البعج بعيدا .

قال القن : اما اذا كان سيف الفارس منتصبا ـ يعني حد الوجهين ـ فلا يحتاج لقلب قبضة السيف . وقال القدماء من اصحاب التجربة كل ضارب بسيف ان لم يكن يجر يده مع الضربة معا فليس هو بكامل الضرب ، وتعيب عليه الجند وغيره. ولنرجع لشرح كلام « لاون » الملك في قوله ، صناعة الحرب : هي المعرفة بكيفية تحرك المحاربة .

قال القن : واما كيفية المحاربة على الاقدام والشرط فيها ، وسابين ذلك بيانا شافيا ان شاء الله تعالي بسعد مولانا السلطان ـ نصره الله ـ وهذا من لوازم الجند معرفة ذلك ، اذ هو امر ضروري محتاج اليه ، وهو من جملة الرياضات الحربية التي اغفلها ساداتنا الجند ـ نصرهم الله ـ وذكر هذه الكيفيات التي انا ذاكرها هي عرضا عليهم واقتباسا لما لديهم . قال الله تعالى : (وفوق كل ذي علم عليم)(٩٩) . فاذا ابتلي الجندي ـ وهو راجل ـ بعدو فارس فليكثر من ذكر الله تعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال القن : ولو قرا المقاتل وقت القتال الآية الكريمة التي هي اخر سورة الفتح قراءة صحيحة باثبات الدال المعجمة وبيان الدال المهملة ؛ وهي من قوله تعالى ، محمد رسول الله ، الى اخر السورة لكان ذلك زيادة له في قوته ، وبركة شاملة كما تقدم من ذكرها ، وقد تقدم ذكرها في اول هذا المختصر ؛ فيتعين على الجندي الذي لا يحسن قراءتها يتعلمها من مقرىء عالم بالقراءات .

اما كيفية قتال الراجل(١٠٠) مع الفارس : فيشترط أن يكون الراجل خفيفا في حركاته ، عالما بالحركات الحربية الاخرى ؛ كيف حال الزراقين ؟ كيف يخطرون ، ويكون طويل النفس ، خفيف الملبس ؛ قد تقلد بسيفه منقصر الحمائلة لا بذاك التقصير حتى لا يتعوق السيف عند سلته اياه ولا يطوله حتى لا يعوقه وقت حركته للئلا يدخل طرف الجفير بين رجليه ، وتكون عيناه دائما مع حركة خصمه ، ولا يكثر الحركة الا في وقتها حتى لا يعيا ، ويكون فعله حركة سرقة الارض ليصير وراء خصمه ليجتهد في تعرقب فرس الخصم ، فان تقدم اليه الفارس فعليه بالزوغان بلا انزعاج وعليه بالبعج مهما استطاع مع حفظ يده ، وان امكنه ان يستمد خصمه [اي يستدرجه] الى وعر او الى ربوة فذلك

---

(٩٩) سورة يوسف ، الآية : ٧٦ .

(١٠٠) الراجل وجمعه الرجالة : وهم المشاة ، ويتسلحون بالسيوف والحراب والرماح والزاريق والقسي والسهام ، ويحملون كنائن النبل ، ويلبسون الدروع كما يلبس الخيالة ، ويحدون رؤوسهم بالخوذ والبيضاء والمغافر ، ويتقون السهام وضرب السيوف وطعن الرماح بالدرق ، وكان رؤساء وحدات المشاة يركبون الخيل ، ولا يكون قائد الرجالة الا فارسا . (مجلة العسكري ـ العدد ١٤ ـ سنة ١٩٦٩).

جيد له ، وذلك ان الفرس أذا انعطف وقت الطلوع الى العلو عسر عليه ذلك العطف ، فان عطف فرسه فذلك وقت المرقبة ، فاذا التفت الفارس ، وكان فرسه مؤدبا خفيفا فليخرج بفرسه ، وان لم يخرج بفرسه فليجلس الرجل القرفصاء ويعرفب الفرس . وقد كان القن في حال الشبيبة يروض نفسه في مثل ذلك مع رفيق لي ــ رحمه الله ــ .

واما كيفية حركة الراجل مع الفرس فبينت . واما اختلاف أسلحتهما على التفصيل : فراجل معه رمح ، وفارس معه رمح ، فسبيل الراجل ان يسلم برمحه ثغريا ــ يعني أن يطعن في فم الفرس او في وجه الفرس ، او في صدره ، او في رجله ، فاعلم ذلك !! فمتى فعل ذلك امتنع الفارس من الدخول اليه قطعا ، ومتى ما كان الراجل دربا أمكنه طعن الفرس اذا دنا منه ، وله طعنة في ركبة الفرس او على راس مشعر حافره ، هذا مع وجود غفلة الفارس او بالتحيل .

قال القن : ولابد في هذا الوقت ان يكون سيف الراجل معلقا في زنده اليمنى بذؤابته ، فان في ذلك فائدة تجعل الراجل كانه يريد الطعن برمحه فيومىء ثم يشتمل بسيفه ما قرب منه ، وهذا يحتاج الى لباقة عجلة من الراجل . واما اذا كانا ناشبين : فينبغي بان يكون مع الراجل درقة يتقي بها .

قال القن : ومن كان منهما يحسن عجلة التفويق في الوتر وكيفية قبض السهام بين الاصابع، وكيف وضعها ، واين يكون محل القبض في السهام، غلب خصمه . وهذا يكاد ان يكون علمه فرض عين على الجندي ، ويكون ممن أكل حلالا ، ولا باس بان يكون الجندي يعلم كيف رماية السهمين معا ، وهذين السهمين اذا خرجا من قوس صلبة فعلتا فعلا جيدا ، ولرماية السهمين ضابط : وهو اذا قفل الرامي فليفوق بالابهام ثم بالاصبع الوسطى ثم بالسبابة ، ويقيم وقت التفويق اصبعه اليسرى من الابهام لتعديل السهمين على فوق بعضهما بعض ، فاذا استوى السهمان ويرد الابهام اليسرى مكانه بعد العقد عليها عقدة ابي هاشم فيمد ويرمي، ومن الرماة من يحسن رماية اسهم عدة [في وقت واحد] واحسنها رماية السهمين ، ومتى ما تراميا محاربان فالغلب لمن فوّق سهمه ورمى قبل خصمه. ومتى ما كان خصم الراجل فارسا فللراجل ان يحثو التراب في وجه فرس خصمه ان كان قريبا منه ولو رشقه بالحجر لكان أحسن من التراب وهو في تلك الحال مستظهر [على خصمه] اذا لم يكن مع الفارس نشاب .

قال القن : وقد رايت في وقعة ان بعض الجند وكان فارسا او راجلا استغنى عن حمل النشاب وتحمل بسيفه وبرمحه فقط فاحتاج للرماية وندم حيث لا ينفعه الندم ، وكان خصومه رجال ليس معهم رمح ولا نشاب فهزموه بالحجر [وذلك]برشقهم الحجارة في وجه الفرس(١٠١) . وساوضح للمقاتل كيفية المسك لخصمه بالتفويق .

قال القن : ولابد له ان يمسك السهم من على الريش ويكون جميع الريش في كفه كمسك العميان سواء أكان ايمن او ايسر كرميه للقنج وللقبق وللطير وللصيد وللرمي تحت حصون المشركين . ومن الناس عند الحرب من يمسك الفوق بالابهام والوسطى والسبابة ويفوّق ويرمي عجلا ، وهذا مليح ! ولكن ما هو اثبت مثل الاولانيين . وقد الفت فيه جزءا لطيفا جيدا . فاذا مسك السهم من وسطه أبطأ في التفويق وسبقه خصمه .

قال القن : ولابد أن يكون الجندي قد استراض ــ اي معناه : قد ادمن كثيرا في التفويق في مسك السهم من وسطه ــ فيبقى هين عليه ، لكن ما هو مشهور في ذلك مدة طويلة بشرط الملازمة

---

(١٠١) الرشاقون : وهم الذين يقومون بمهمة الرشق بالحجارة، وهم رماتها من المقانع ، وكانوا يطلقون عليهم اسم «العبارون» ايضا . (المرجع السابق) .

لذلك . والفن تقدير اربعين عاماً يروض نفسه في هذا الامر حتى الان بحمد الله تعالى ؛ ثم نكته : وهو اذا كان احد قوسي المترامين احداهما اقوى من الاخرى ، فان صاحب القوس اللينة اسبق ان كان لكل منهما يدري صناعة الرمي وقبض السهم وقت المحاربة ؛ ولكل منهما الاثر من الحيل ؛ ولو ذكرت الحيل الحربية لطال حجم هذا المختصر وحصل الملل ، وذلك ان علوم هذه الصناعة الشريفة لم يحاط بها . قال الملك الظاهر بيبرس ــ رحمه الله ــ : لم يبق في نفسي غير تنميم صناعة الجندية، هذا مع مباشرته حروبا كثيرة .

٤٤ [صناعة الجندية]

قال الفن : لعلم الجندية ستة معان : علم بقول دون فعل ، وعلم بفعل دون قول ، وعلم بالاقوال والافعال وهو المشار اليه ؛ وعلم باجمال العلوم دون تفصيلها ؛ وعلم بالاجمال والتفصيل ، وعلم بحقائق العلوم واسرارها على التقريب .

ويجب على الجندي وجوب سياسة في وقت المحاربة ، وان يستعمل الصمت ما أمكنه ، ويجتنب السفه والطيش ، وايضا التزام الصمت في الحرب من السنة كما تقدم ذكره في اول هذا المختصر .

واما فعل الراجل المصلت بالسيف ــ اعني صاحب السيف ــ والفارس الناشب فقد تقدم ذكره . قالوا : فربما رد السهم بسيفه ان كان حاذقا بالقتال .

واما لقاء الراجل المصلت بالسيف والفارس الرماح ، فان كان مع الراجل ترس فان الراجل اليقظ في هذه الصورة اقوى .

واما الراجل الناشب والفارس المصلت بالسيف ، فالناشب اقوى .

واما لقاء الراجل الزارق والفارس الرامح . قالوا : ان للزارق رجاحة على الرامح بالبعد والقرب، فليزرق الزارق الرامح في محل القتل وليجتنب المداخلة على الزارق .

قال الفن : وللرامح حيلة ان هي صحت نفعته في هذا الموطن ، وهي اذا كان فرسه خفيف الحركة وزرق من المزراق امكنه ان يبطل المزراق برمحه ، ويسبق الزارق بطعنه اياه في موضع القتل او يدوسه بفرسه اذا كان راجلا ، واذا تحقق معه خنجر ، فان كان معه سيف أو خنجر فلا يقربنه .

واما لقاء الراجل الزارق ، والفارس الزارق . قال القدماء من الفرسان : هما متقاربان في المقاومة الا ان الراجل ارجح من الفارس اذا كانا اقرانا ، وتستتر الراجل بالترس اهون من تستر الفارس بالترس ، وذلك لان دابة الفارس لا يمكنه سترها كلها عن المزراق ولا عن النشاب ، فبهذا الاعتبار صح ما قاله القدماء . قال بعضهم : ما نحن فيمن مضى قبلنا الا كبقل بين نخل طوال .

واما لقاء الفارس العامد والفارس العامد : فالراجل ارجح من وجوه شتى .

قال الفن : هذا اذا كان الراجل خفيفا ذا ثقافة ، فربما دخل على الفارس ، فاذا دخل فيه ضربه ، فيخلي للضربة فلا تصح ضربته . وهو متى ما ضرب وانحرف [الفارس] بفرسه فربما حذفه الراجل ولا يخطىء قوائم دابته فيقع الخلل بهذا الوجه ، وليس للفارس عمل في هذا الموطن الا البعد عن الراجل ، ونقل فرسه ــ وعموده على عرف فرسه ــ معترضة . فاذا نقل فرسه حركه تحريكا وسطا بحفظ عنانه حتى اذا تحقق انه لا محيص للراجل عن الزوغان كرّ فرسه بقوته وداس الخصم وضربه سائقا له حتى لا ينبطح الراجل على الارض فيضرب قوائم الفرس عند مرورها عليه . وقد اتفق للفن مثل ذلك في وقت الشبيبة .

واما لقاء الراجل العامد مع الفارس العامد المخنجر ، قال الفن : الراجل العامد ارجح ! الا انه

يخاف على الراجل من حيلة وهي التي ذكرها القن في فعل الفارس العامد المختجر والراجل العامد من فعله لفرسه واقدامه كما تقدم ذكره آنفا .

وحيلة اخرى : وهي اذا علم الفارس انخصمه عيا عن الحركة وكلّ ، فله حينئذ ان يلقي نفسه عليه ويقبض على عموده ان سهل ذلكويستعمل الخنجر . وقد شبه القن الخنجر او السكين مع المقاتل كرفيق يعينه ، مثل زيادة القوىفي الانسان . الا يرى ان الضعيف اذا كان معه خنجر او سكين وتماسك مع من هو اقوى منه ،وليس مع ذلك القوي خنجر ولا سكين فان الراجل الضعيف مستظهر عليه بالخنجر والسكين لا محالة؟!

قال القن : : وكل جندي دخل حربا وليسمعه خنجر او سكين فليس منا ــ اعني من الجند المبصرين بالحروب ــ .

قال القن : واما نزول الفارس عن فرسه فقدتقدم آنفا ؛ لكن للفارس ان ينزل عن فرسه لكثرة العدو مع الغلبة ، واذا وجد ملجأ كوادٍ او يكون فيزحام خيل فله أن ينزل ويستعين بالله ــ عز وجل ــ ويستعمل السيف في قوائم خيل العدو وقبل قتلهم له كما فعل الامير علاء الدين جدّ القن في حرب وقتل شهيدا ، وكانت له شهرة بالشجاعة ــ رحمه الله ــ وهذا من خيار الشهداء الذين هم عند ربهم يرزقون قاتل في الله ولله .

٤٥ [الخصال التي يحتاجها الفارس]

وأما لقاء الفارس الفارس [الاخر] ؛ قالوايحتاج الى عشر خصال ؛ ست منها مكتسبة واربع منها اصلية . فالمكتسبة : فراهة الدابة(١٠٢) ،والفروسية ، وجودة السلاح ، والحذق باستعماله، وتعهد السرابيل(١٠٣) والجنن(١٠٤) ، والثقافةبالتوقي بها .

والاربع الاصلية : رباطة الجأش ، ولطفالحيلة ، وجودة الراي ، وشدة الصبر .

قال القن : والاستعانة بالله تعالى .

اما رباطة الجاش : فان يكون طمعا في عدوه ،جريئا عليه لئلا تدهشه الرهبة فيذهب رايه .

واما جودة الراي : فان يكون حذرا ، متوقياهامته ، حافظا نفسه ودابته .

واما لطف الحيلة : فان يصير قرينه مطلوبا ،ويكون هو الطالب بتصييره اياه امامهاو تحت سلاحه.

واما شدة الصبر : فان يعلم انه متى صبركان آمنا له ، واوشك لفشل عدوه وخوره ، وانه متى لم يصبر وولى فقد أمكن عدوه من نفسه ،وعصى الله تعالىٰ وكان من الخائنين .

واما الفارس المصلت أحاد الفرسان : فينبغيله ان يصير فرسه نحو يمينه فيترس به وهو مخير : اما ان يضع سيفه معرّضا به على عرففرسه او يجعله مرخا على يمينه قابضا عليه ؛ او يضع طرفه نحو كفل فرسه .

قال القن:ولابد ان يكون لكل حركة جوابا فينظراولا ، ما مراد الخصم في حركته ؟! اما ان يبتدىء

---

(١٠٢) الفراهة : الحذق في الشيء ، وهنا الدابة الفارهة ،اي الحاذقة المدربة .

(١٠٣) السربال والجمع سرابيل : وهو القميص او كل مايلبس.

(١٠٤) والجنن جمع جنة : وهو كل ما يتقى به من ضرباتالاعداء . ومن اسماء الترس الجنة : وهم اسم اعم ، قال الطبري : (وعامة جنن المسلمين يوم القادسية كانتبرادع الرحال ، قد عرضوا فيها الجريد يترسون بها عن انفسهم ، وما عامة ما وضعوه على رؤوسهم الا انساعالرحال ، يطوي الرجل نسع رحله على راسه يتقي به ، والفرس في الحديد واليلامق) . (تاريخ الطبري : ج٤ ، ص ١٣٩) .
والنسع بالكسر : سير الجلد عريض تشد به الرحال .واليلامق : الحديد اللامع الجيد . (قاموس المحيط) .

بالشزر او بشيره فيقبض على سيفه بما يراه من حركة الخصم . ويستحب للجندي اذا هو قاتل خصمه راجلا أن يملك اربعا واثنتين ، فذلك هوالرجل الذي لا يصاب الا من زلة .

اما الاربع : فيداه ورجلاه يحفظهما من الضرب، فاما آفة اليد اليمنى فان يخرجها من المضارب من ترسه فيرسلها في غير وقتها . واما آفة اليسرى بأن يحاط من الترس او يحني مرفقها . واما آفة القدمين فالخطو بهما في غير وقتهما .

واما الاثنتان : فالعينان ان ملكهما نجا وان لم يملكهما هلك لا محالة .

نكتة : واذا خاصمت الامور وكانت اليسرى من عينيه فهو كالاعسر ، وان كانت اليمنى هي الذاهبة فانه لا يمكنه النظر الا من فوق الترس وهوفي هذا الوقت في حد ضعيف وامر عليك يسير ، واذا قابلت الاعسر فلا تبداه بالضرب ، فاذا بدالك بالضرب فقد انكشف باطنه فاضربه كيف تختار ؛ واذا ابتلي الجندي بجماعة ولم يجد بدّاً من ان يقف لهم فيقف منتصبا ويقيم فيهم الضرب المتقعد(١٠٥) ويجد فيهم كل الجد ويستعين عليهم بالرجز يعني بالهيت وبالعياط ـ ويحامل اقل المواضع رجالا ومكان الخلل حتى يتخلص ويجتنبهم يميناوشمالا ويمكنهم من التغوق عليه فيصير الى المهلكة واري الحامل كانك تقصده ثم ثب على غيره ولوكانوا الفا ـ وهذا بالبخت ـ لم يكن بدّاً من ان يليه من الجميع الا واحد فحامله ، فان لم يتفرقوا واجتمعوا ولم يمكنك العمل فيهم ، فتاخر عنهم ، فاخرج منهم وانت جار ، ودمهم يطلبونك ، ثم اعطف بالضرب على من دنا منهم ، وتبلى بلاء بياض وجهك عند الله . وقد اتفق لبعض الجند قضية مثل هذا يسمى «اسند» مرّ بسوق الخيل وعمل عملا جيدا ، ولم يعلم به الا الله تعالى ، وذلك ان نيته كانت نصرة سلطانه ، ولا يشترط في دين الله تعالى ان يكون كل ما يصدر من الجندي في الحرب من حسن قتال او قضية نافعة ان يكون مراد ذلك الجندي ان يطلع عليها السلطان ـ نصره الله ـ وقداجمع العلماء ـ رضي الله عنهم ـ ان العمل لاجل الناس شرك ، وترك العمل لاجل الناس رياء . وقدقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فذاك في سبيل الله)(١٠٦) وذلك الاخلاص يكون متوطا بنيّة نصرة السلطان .

٤٦ [التبصر في انتقاء الجيد من السلاح والفرس]

ومن لوازم الجندي : التبصر بما يلائمه في شراء سلاحه وفرسه ، كما يختار ما يلائمه من ماكول ومشروب وملبوس ومكان وغير ذلك من ضرورات البشرية ، ومع ذلك فلا بد له وان يكون خبيرا بما يشتريه من سلاح وفرس ؛ وهذا لازم له شرعا .الا يرى : أن كلّ من اشترى صنفا من الاصناف ولم يكن له بذلك خبرة سفّه واستقلّ عقله ؟! ومما يختاره الجندي من الخيل التي بسببها ينصر ، وبسببها يثاب ، وبسببها يحمل نفسه ، وبسببها يحمل رفقاءه ، وبسببها يخلص من الموت من نجاه الله تعالى على يده ، وبسببها يحمده الناس ،وبسببها يستشهد ، وبسببها يغنم ، وبسببها يتقدم عند سلطانه ويشكره ، وبسببها يرهب أعداءالدين ، قال الله تعالى : (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله

---

(١٠٥) كذا الاصل .

(١٠٦) من حديث رواه الخمسة ومتفق عليه ، عن ابي موسى الاشعري : ان اعرابيا اتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله !! الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ؟! وفي رواية يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية [اي انفة وغيرة] ومحاماة عن العشيرة . فمن ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله !!) . (كتاب الجهاد ـ رياض الصالحين والتاج الجامع للاصول ج٤) .

يعلمهم)(١٠٧) . قال بعض علماء التفسير : (واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) انهم الجن ! ومصداق ذلك : ان رجلا شكا للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرجم(١٠٨) فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ارتبط فرسا عربيا ، فارتبط فرسا عربيا فامتنع عنه الرجم .

واما ما يختاره الجندي من الخيل للشراء فسيبينه القن على حسب معرفته ، فمن ذلك وهو اول الامر واخر العهد ان يكون صحيحا بلا علة بالجملة الكافية ، فربما سامح بعض الجند في الفرس المجرود واخطا في ذلك الا انه اذا كان في العرقوبين استوى مشيه ولا خير فيه ايضا . ومن الخيل ما يولد وهو مجرود ومن ذلك العتاق وهم اسلم من الجرد ، والفرس يعمل به في الاسفار ، ومن ذلك الفرس الحمران الذي تبين شفاؤه واستوى ؛ فربما نقض عليه في زمن العلة خصوصا في زمن الصيف ومن ذلك « العثور »(١٠٩) وهو يحدث من اسباب منها استرخاء فصوص يديه ، ومنها من سوء تربية راكبه له في الاول وهو مهر ماحترص(١١٠) بالضرب عند عثوره على اكتافه بالرجل او بالمقرعة فلذلك اخذه عادة بالعثور . ومنها كثرة الكد والسير المزعج ؛ فإن الفرس اذا انزعج في كثرة السير والسفر الطويل ، وكان عليل المقدرة حدث عنده العثار . ومنها ما يكون من علة فيه خلقة . ومنها ما يكون عادة له من سوء خلق ، ومنها ما يكون من كثرة الركض ونزول الماء البارد نزل في الفصوص بعد التعب وفي الارساغ ، ومن الخيل من اذا اراد مريد ان يركضه برك على ركبتيه وربما يتمرغ براكبه على الأرض . وراى القن فرسا على هذه الصفة القبيحة وكان منظرا في الخيل ويقال : بئس المنظر ، والمخبر خير من المنظر . وهذا مطرد في حق الرجال ايضا . واما محاسن الفرس ولا يخفي على الحاذق والذكي ، ومن بعض جمليات ما يختبر به الفرس الذي يعتمد عليه الجندي : اول ذلك ان يكون جريا . وقد غلط بعض الجند في هذه المسالة ، فقالوا لبعضهم البعض : فرس جري غاية أو فرس طروق غاية ايهما اصلح ؟ فالذي اختار الطروق اخطا ، والذي اختار الجري اصاب ثم اصاب ثم اصاب ، وحجة من اختار الجري اقوى من جهة النقل والعقل : اما النقل : فمن وهب بن منبه(١١١) ـ رضي الله عنه ـ قال فيما يروى عن الله ـ تبارك وتعالى ـ : ان الله تعالى خلق الفرس من الريح الجنوب ، وقال له : قد جعلتك للطلب والهرب ، وساجعل على ظهرك رجالا يسبحونني(١١٢) ويهللونني(١١٣) ويكبرونني(١١٤) ، فسبحين اذا سبحوا ، وتهللين اذا هللوا ، وتكبرين اذا كبروا . فقوله تعالى (وقد جعلتك للطلب والهرب) في الامتنان علينا وعلى ما خلق من الخيل ، هذا من جهة المنقول ؛ واما من جهة المعقول : فلاشك عند العاقل ان المقاتل اذا راى رفيقا له قد

---

(١٠٧) سورة الانفال ، الاية : ٦٠

(١٠٨) الرجم لغة : الرمي بالحجارة ، وكذلك السب واللعن ، وشكوى الرجل هنا من رجم الجن .

(١٠٩) قال الثعالبي في عيوب عادات الفرس : « فاذا كان كثير العثار في جريه فهو عثور ». (فقه اللغة) .

(١١٠) كذا الاصل .

(١١١) ومثل هذه الرواية وردت في تاريخ نيسابور للحاكم ابي عبدالله ، في ترجمة ابي جعفر الحسن بن محمد الزاهد ، انه روى باسناده عن علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . (حياة الحيوان الكبرى ـ للدميري ، مادة الخيل) .

(١١٢) التسبيح لغة : التنزيه ، والمقصود به تنزيه الخالق عن مشابهة المخلوقات : وهو ان يقول المسلم (سبحان الله) والتسبيح : اصطلاح فقهي وسنة من سنن الصلاة ، وهو ان يقول المصلي في ركوعه (سبحان ربي العظيم) وفي سجوده (سبحان ربي الاعلى) .

(١١٣) والتهليل : هو قول القائل : (لا اله الا الله) اي بمعنى افراد الرب تعالى بالالوهية وهو افضل الذكر .

(١١٤) والتكبير لغة : التعظيم ، واصطلاحا : تعظيم الله تعالى وانه القاهر فوق عباده ، ومنها (الله اكبر) عند افتتاح الصلاة وتسمى تكبيرة الاحرام التي هي من اركان الصلاة . وعند بعض المفسرين : ان المقصود بالباقيات الصالحات (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله اكبر) .

جرح فرسه او كلّ من العمل ، وراى الغلبة ، وكان من ذوي المروءات ، وكان يعلم من فرسه قوة والجري الجيد الطويل ، حمل رفيقه رديفا وخلصه من القتل ، ونجا به .

قال القن : وينبغي للجندي ان يعوّد فرسه على حمل الرديف . (فلا تعلم نفس ما اخفي له من قرة عين)(١١٥) لخلاصه من القتل وخلاص رفيقه والفرس الجري الجرّاء هو مخلّص من الشدائد . ولا يعد ما فعله الخيل السوابق من خلاص انفس من الموت ؛ ولم تزل الصحابة والملوك الى هلم(١١٦) تعتني بالخيل السوابق وتكرمها غاية الاكرام ، ويبالغون في اثمانها .

قال القن : والذي اعتقده ، ان الفرس السابق ليس له ثمن خصوصا اذا كان مؤدبا . اما الفرس الكامل الادب فقلّ ان يوجد الا عند الملوك خاصة ، وربما يكون عند غيرهم . والقن يعرض بعض اداب الفرس المؤدب ـ ان شاء الله تعالى ـ : من ذلك ان يستحب الحركات الحربية كالرمي بالسهام على الاغراض كالقبق ، والقفج والرمي في الناوردات ، ورمي الفارس ، والثبات عند سماع صرخات المدافع ، ورؤية النيران الخارجة عند الزرق والنفوطات(١١٧) والاعلام ورؤية الزرّاف والفيل والسبع والجمل وما اشبه ذلك ، فافهم ترشد !!. والرياضة في السباحة ، والرياضة في دخول البحر عند مفارقة الخيل . ومن الاداب التي اغفلها الجند للخيل : انه يستغني الفرس عن اللجام ويعمل الضرورة ، فاذا كان الفرس مرتاضا بتعليمه الحركة بالمعرفة ، فاذا جذب بالمعرفة وقف ، واذا استرسل سار او جرى ، واذا استحرف انحرف . وكان عند القن فرس على هذه الخصال استورثها القن من والده ـ رحمه الله ـ وكانت رَمكة ، حبشية اللون ، يستغني راكبها عن اللجام ـ يعني هذا عند عدم اللجام ـ ولكن اللجام احسن للعمل واقوى ، هذا ما ذكرناه الا نكتة لطيفة ، وقليل فاعله من الفرسان .

ومن اصلح الجند مماليك مولانا السلطان ؛ وكان فيهم من يعوض اللجام بمهماز(١١٨) عند فقد اللجام ، هذا القول ما هو بشيء(١١٩) ولكن ما ذكرته الا نكتة وذلك كثير من جملة ابدالات اسلحة صنايع الجند عند فقد بعضها ، ولهم ابدالات كثيرة . وليرجع لذكر الخيل السوابق ، فمن الخيل ما يكون ذا اطرقة واسعة ، وجري سابقة ، ومنهم من يجري سابقا ولا اطرقة شيئا بالجملة الكافية ، وليعلم ان كل فلو(١٢٠) يساق في صغره يكون في كبره جالق ـ اعني جاهل ـ فافهم ذلك !!.

وان اداب الخيل لا تحصى وتحتاج الى تاديب كثير كالانسان في تعليمه ، ومن لا ادب فيه لا خير فيه ، وهذا سار في الحيوان الناطق والصامت .

ومن لوازم الاجناد : الاقتداء بما صح في صحيح مسلم ، قال : كتب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ [الى قائد المسلمين] وهو باذربيجان : (اياكم والتنعّم وزي اهل الشرك) .

---

(١١٥) اشارة الى الاية الكريمة : (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاءا بما كانوا يعملون) . سورة السجدة ، الاية : ١٧ .

(١١٦) كذا لاصل . ولعله يعني : الى الان .

(١١٧) النفوطات : عملية زرق النفط بالنفاطة لاحراق حصون الاعداء ، والنفاطة اداة من نحاس يرمى بها النفط . والنفاطون : هم الذين يرمون النفط بالنفاطة ، وعندما تجهز الخليفة المعتصم بالله لحرب عمورية سنة ٢٢٣ هـ اخذ معه من آلة النار والنفط شيئا عظيما وليس ـ النفط القاذف ـ عندهم غير النار اليونانية . (مجلة العسكري ـ العدد ١٤) .

(١١٨) المهماز والجمع مهامز ومهاميز : وهو ما يهمز به ، حديدة في مؤخرة خف راكض الفرس .

(١١٩) بالاصل : ماء شيء .

(١٢٠) قال الثعالبي في « فقه اللغة وسر العربية » في ترتيب سن الفرس : (اذ وضعته امه فهو مهر ، ثم فلو) .

٤٧ [تاديب الخيل وتدريبها]

ومن لوازم الاجناد تاديب الخيل وتدريبهـا لينتفع بها وقت الحرب وفي غيره ، ولا يتاتى ذلك الا بتعاهدها ورياضتها .

قال الفن : والاجنـاد يتعاونون في تاديـب الخيل . ومن الجند من يروض الفرس الحرون(١٢١) بصناعته ويجيبه الى الطريق . ومن الاجناد من لايعرفه ابدا . فالواجب في حق الجندي ان يتعلـم صناعة الفروسية لينتفع بها . واما سبب الحرن ما قاله القدماء : أن يركب المهر من على الاخـر ـ يعني المعلف او الطوالة ـ لا يهون الخروج اذا ركب من هناك وما يفعل ذلك الا لمن ليس له علـم بصناعة الفروسية وصناعة الجندية .

ومن الخيل ما يكره اقتناؤه وما يسـتحب اقتناؤه . فالمكروه منها ما رواه مسلم في صحيحه قال : (كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكره الشكال في الخيل)(١٢٢) .

وفي رواية اخرى لمسلم [ايضا] [في تفسير الشكال] (والشكال : ان يكون الفرس في رجلـه اليمنى بياض ، وفي يده اليسرى بياض . او في يده اليمنى بياض وفي رجله اليسرى بياض) . والمستحب منها ما رواه الترمذي عن ابي قتادة عن النبـي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (خير الخيل الادهم الاقرح الارثم ، ثم الاقرح المحجل طلق اليمين(١٢٣) ، فان لم يكن ادهم فكميت على هذه الشية) .

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريـب صحيح . فمعنى الاقرح : ما كان في وجهه بياض سائد الغرة . والارثم : ما كان في جحفلته العليا [اي الشفه] بياض ، والاحسن ان يكون البياض متصلا في الوجه الى الجحفلة . والكميت : ما كان بين السواد والحمرة ولم يخلص له واحد منهما ، وكانت معرفته سوداء وذيله اسود .

وفي الترمذي ايضا عن ابي عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (يمن الخيل في الشقر) .

وقال ابو داود عن محمد بن مهاجر انه سال غيره : لم فضل الاشقر(١٢٤) ؟ فقال : لان النبـي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث سرية فكان اول من جاء بالفتح صاحب الاشقر . ومما يستحب في هيئة تسويم الخيل عند القتال يقول الله تعالى :(ويمددكم ربكم بخمسـة الاف من الملائكـة مسومين)(١٢٥). وروي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال يوم بدر : (تسوموا فان الملائكة قد تسومت)(١٢٦) والسيما هنا العلامة في اذناب الخيل ونواصيها بالصوف الابيض . وقال مجاهد

---

(١٢١) وقال الثعالبي ايضا ، في عيوب عادات الفرس : (فاذا كان يتوقف في مشيه فلا يبرح ، وان ضرب فهو حرون) .

(١٢٢) رواه مسلم بسند صحيح ، وكذلك رواه ابـو داودوالترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث ابي هريرة ، وتفسير الشكال انفرد به مسلم .

(١٢٣) الادهم : الاسود من الدهمة وهو السواد . والاقرح :من القرح (بالتحريك) وهو ما بوجهه قرحة دون الغرة : وهو كل بياض كان في جبهة الفرس ثم انقطع قبل ان يبلغ المرسن (الانف) . والارثم : من الرثم (بالتحريك) ، وهو كل بياض اصاب الجحفلة (الشفة) العليا ، قل اوكثر الى ان يبلغ المرسن . والكميت من الخيل ، جمعه كمت (للمذكر والمؤنث) : ما كان لونه بين الاسـود والاحمر،وهو تصغير اكمت على غير القياس . وطلق اليمين : هو ما ليس بها بياض مع وجوده في بقية القوائم على هذه الشية ،اي الصفة . فهذه صفات الخيل الحسنة . وقد عني بها بعض اهل العلم ولا سيما صاحب القاموس المحيط . (العقدالفريد : ج١ ، ص ١٥٢) .

(١٢٤) كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستحب من الخيل الشقر. وقال: لو جمعت خيل العرب في صعيد واحد ما سبقها الا اشقر . (المرجع السابق) .

(١٢٥) سورة ال عمران ، الاية : ١٢٥ .

(١٢٦) قال صلى الله عليه وسلم ذلك اقتداء بالعلامة وتفاؤلا بالنصر .

وغيره : وسيما الملائكة : العمائم ، وسيما خيولهم : الصوف الابيض . قال ابن القاسم من فقهاء المالكية: ولا باس باتخاذ الاجراس وقت الحرب تعلق على الخيل ، ووافقه سحنون ، واختلف العلماء في ذلك . ويستحب في الحرب اتخاذ الاعلام والرايات والالوية(١٢٧) وقد اتخذها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واختلفت الاثار في الوانها ، فقيل : سوداء ، وقيل بيضاء ، وقيل : صفراء وفي النوادر عن ابن القاسم : ولا باس ان يتخذ ذلك من حرير .

قال الماوردي في « الاحكام السلطانية » : واذاتقابلت الصفوف في الحرب جاز لمن قاتل من المسلمين أن يعلم بما يشتهر به في الصفوف ، ويتميزبه عن جميع الجيش . وان يركب الابلق ان كانت خيول الناس دهما او شقرا او كميتا او بيضا اوحبشيا . ومنع ابو حنيفة ـ رضي عنه الله ـ من الاعلام وركوب الابلق . ويجوز ان يجيب الى البرازاذا دعي اليه . روي انه : قد دعا ابي بن خلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى البراز يوم احد فبرز اليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقتله واول حرب شهدها رسول الله ـ صلى اللهعليه وسلم ـ يوم بدر فخرج الى المبارزة من مشركي قريش جماعة فقتلوا ، منهم : عتبة بن ربيعة ،وابنه الوليد ، واخوه شيبة . وقد خرج بنا القول لتتمة المقاصد .

٤٨ [الاعتناء بعلف الخيل]

ومن لوازم الاجناد الشرعية والسياسية :الاعتناء بالقيام في علف الخيل ولا يتكل على الغير . قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ:(اعلموا اني معترض الخيل كاعتراض الرجال ، فمن اهزل فرسه من غير علة حططت من فريضته قدر ذلك ، واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة).

قال القن : ويتعين على آمر الجيش ان يستعرض المقاتلة وسلاحهم وخيلهم فيرد الخيل الهزال التي لا جلد لها على الكر والفر اقتداء بعمرالفاروق ـ رضي الله عنه ـ .

٤٩ [الاعتناء بصحة الخيل وتاديبها وتعاهد ركوبها]

ومن علوم الاجناد : معرفة امراض الخيل ومعرفة ادويتها . ومن اداب الاجناد : لا يركب في حرب غير الفرس القارح(١٢٨) المؤدب . ومن الاداب :يركب في موكب السلطان المهارة ، فمن ركب مهرا مقصوصا في المواكب السلطاني منع من ذلك وادب .

ومن اداب الجندية : لا يمكن لاحد من الجندممن لم يحسن الركوب والجلوس على الخيل ، وعدم معرفة الدوس في الركاب أن يكون في الموكب السلطاني ، فان في ذلك امورا قادحة احدها ان يكون هناك عين من العدو .

ومن اداب الجندي : ان يتعاهد ركوب فرسه مروري كما تقدم ذكره ، وساذكر الحديث الصحيح الذي يقتدي به راكب الفرس المروري ، وهو الذي تسميه الاتراك « جبلاق » يعني : بلا سرج ، في صحيح مسلم : ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اتى بفرس مروري ، فركبه حتى انصرف من جنازة ابن الدحداح ، والصحابة يمشون حوله ، فمن اقتدى بمثل ذلكالفعل الذي فعله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاجره على الله وسوف يؤتيه اجرا عظيما ، ولم تزل الفرسان قديما يروضون خيلهم غزاة ويقاتلون العدو على الخيل بلا سروج عند فقدان السرج .

---

(١٢٧) اللواء : هو العلم الكبير الذي يكون مع الامير والجيش العظيم . والراية:العلم الصغير في الرمح يأوي اليها المجاهدون.
(١٢٨) القارح : الفرس في الخامسة من عمره .

ومن لوازم الجندي الاميري : اتخاذ الجنن الواقية ، اما قرقل جيد الصفائح لا بالضيق ولا بالواسع واذا كان كالقبا كان احسن واسرع اللبس بشرط ان يكون حشو كمثبه صفائحا دقاقا لتمكن مد القوس . واما « القنباز » وهذا بلغة المغاربة يسمون الكبير القنباز ، ويسمون القرقل المصفح . والقنباز [يكون] جيدا بشرط ان يكون حشوه حرير خام . وقد كان لسيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ذرع تامة ، وكان لها ساقان كساقي السراويل وما بينهما مرفوع مفتوح ثم تربط بشراكين ـ يعني سيرين ـ وينسر كعقدة السراويل ، وكان له مغفر من نحوها .

قال العلماء : ومما يستعد للوقاية من العدو الترس والدرع والبيضة وجميع ما يرجوه المرء الوقاية من سهام العدو ورماحهم وسيوفهم ، فاستعداد ذلك غير قادح من صرف الاعتماد والاتكال في الكفاية ، والنصر على الله سبحانه وتعالى ، وان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حفر الخندق بنفسه واصحابه ، ولبس الدرع والبيضة وتترس بالترس.

واما استعداد ما بقي من سلاح العدو فقد عده القاضي ابو محمد بن عبدالوهاب في ظاهر كلامه من قسم الوجوب . فقال في « جامع التلقين » مايقوي ذلك ، وعليه جماعة من اصحاب المذاهب ، فلتعلم !! والسادة الجند ارشدهم الله تعالى لذلك.

قال بعض علماء المالكية : ان الانسان ممنوع من ان يوقع بنفسه مختارا فيما يخاف عليها منه الهلاك ، وهذا لا خلاف فيه . وقد ورد في الخبر الصحيح : ان اصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما انفق منهم يوم حنين باعجابهم من انفسهم الكثرة ، كما قال الله تعالى عنهم وكانوا عراة مما يقيهم من السهام . وايضا كان الغالب عليهم في اول الاسلام الفقر والفاقة . واما من يجد يسارا لاتخاذ ما يقيه فيجب عليه وقاية نفسه مما يهلكه . وقد اسقط الشرع فروضا لاجل الخوف على النفس وفائدة ذلك : عموم قوله تعالى : (ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج)(١٢٩) .

ومن لوازم الجندي : اذا سافر سفرا واختشى على فرسه من المقر ، فان كان فرسه سمينا فليقلل من اللبود التي في النمازيم التي تسميه الاتراك «يغير ليق» ، وان كان فرسه غير سمين فليزد اللبود وقد اتفق للشهيد الملك الناصر ـ رحمه الله ـ في اول حجته الاولى : ان الخيول تعثرت في السفر فتغيظ لذلك كثيرا فقال له بعض مماليكه من الامراء ممن له خبرة بذلك يقال له « الشقيري ياخوند » خيول السلطان سمانا ، فأمر السلطان ـ تغمده الله برحمته ـ تخفيف طاقات البنود النمازيمات فزال ذلك الامر وخف .

ومن لوازم الجندي : اذا كان في عسكر ان يكون في مظنة الخوف اشد احترازا ، فان كان في حراسة السلطان ، ولا يفارق سيفه ، متقلدا به وترسه بازائه ، وقوسه موتورة و « تركاشه » في وسطه مشدود ، وفرسه كذلك ، كما كان يفعل الامير ركن الدين بيبرس الاحمدي ، كان امير جاندار(١٣٠) ـ رحمه الله لما كان بركاب الشريف الشهيد الملك الناصر ـ رحمه الله ـ وكان ذلك في

---

(١٢٩) سورة التوبة ، الاية : ٩١ .

(١٣٠) جاندار او جندار : رتبة من رتب البلاط السلطاني في عهد المماليك المصريين . وهي كلمة فارسية مركبة من مقطعين : (جان) بمعنى سلاح و (دار) بمعنى حامل ، ويعرف الجاندار بحارس السلطان كما يطلق عليه اسم (امير جاندار) وهو الذي يقف على باب السلطان ، ويقدم البريد الى السلطان مع الداودار وكاتب السر ، وهو الذي ينفذ اوامر السلطان بشان الامراء وهو المشرف على سجن « الزردخانه » الذي يحبس فيه المتهمون بجرائم سياسية . (القاموس الاسلامي : ج١ ، ص ٥٦٦) .

الحجة الثالثة وأمره بالحراسة ، فكان يركب هو ومماليكه ليلا ويطوفون حول المخيم المحروس . وكان للامير ركن الدين بيبرس الاحمدي وجاهة عند السلطان ـ تغمده الله تعالى برحمته ـ .

٥١ [معرفة طرق الرهان وعلم التعبئة]

ومن لوازم الجندي شرعا : معرفة طرق الرهان في الرمي والمسابقة على الخيل لئلا يكون قمارا ، وشروط الرمي والمسابقة معلومة مذكورة في كتب الفقه .

ومن مهمات صناعة الجندية : انه لابد وان يكون الجندي عالما بصناعة ترتيب القتال وعلم التعبئة(١٣١) من الواحد الى الالف الى ما شاء الله . قال الله تعالى فيما امتن به على طالوت : (قال : ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم)(١٣٢) . قالوا : كان علمه معرفة التعابي الحربية . ولم تزل الانبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يعتنون بالتعابي الحربية في قتالهم ، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبئ التعابي في جميع غزواته ؛ وجميع الملل تعتني بالتعابي في حروبهم حتى الان ، ولم يكن في التعابي من الامم الكتابية والمجوسية كتعابي العدو المخذول الافرنج ـ جعلهم الله غنيمة للمسلمين ـ جاري العوائد ان شاء الله تعالى : وذلك انهم يرتبون بترتيب ، وما اسرع ما تنقل تلك التعبية ـ بعون الله تعالى ـ لمن يحسن تعبئة ذلك .

ومن احسن تعبئته افسد تعبئة غيره ، ومن لم يحسن التعبئة ، لم يحسن افساد تعبئة غيره . وجملة الامر : ان التعابي مبنية على الهندسة .

وللقن تعبئة سميتها « التعابي القمرية » وهي على هيئة النجوم السماوية ، ولا باس بها اذا وضعت على القانون المعتبر ، ولولا خوف الاطالة لذكرت [من] انواع التعابي كثيرا ، وهذا المختصر لا يحتمل ذكر ذلك ، ثم في الحضرات السامية من الممالك من يدري مثل ذلك . وللقن في ذلك عذر واضح من قن ناصح .

٥٢ [تعاهد الرمي على الخيل]

ومن لوازم الاجناد : تعاهد الرمي على الخيل والارتياض فيها بالركض وغيره .

قال القن : واختلف الجند وتحاسدوا وتنافسوا وعاب بعضهم لامور : منها عدم الجنسية ، وقيل عدم الفعلية ، حتى ان الذي يحسن الرماية في (الالكي)(١٣٣) ولم يحسن غيره ، ويعيب غيره ، ومنهم من يحسن الرمي على الوحش ولم يحسن غيره وهم الشتاتار ، لانهم يعيشون غالبا من اكل الصيد . ومنهم من يحسن ذلك كله ولا يحسن الرمي على القفج والقبق ، ولا يعتقد ان كل من ركض فرسا ورمى كان راميا حقيقيا . وفي هذا الوقت ظهر غواذ يخشون الرمي على القبق ورمي القفج . ومدلول لفظة قفج بالتركية : هو المتوارك ، لان الرامي في القفج لابد وان ينحرف في سرجه وحيله ـ يعني بتورك في سرجه عند وقت الرمي ـ ويتورك بوركة الشمال اكثر من يمينة ، فافهم ذلك ترشد !!.

ومنهم من يحسن ذلك كله ولا يحسن الرمي فوق الاسوار ، ولا من تحتها على العدو الكافر ، ومنهم من لا يحسن رماية العدو ، ومنهم من لايحسن رماية [اثر] النعل : وهو عبارة عن رمي الراكض فرسه ويرمي اثر النعل الذي يظهر اثره في الارض ، حتى ان بعض الامراء المسلمين وغيرهم

---

(١٣١) انظر الهامش رقم (٤١) .

(١٣٢) سورة البقرة ، الاية : ٢٤٧ .

(١٣٣) المفهوم من سياق الكلام ان « الالكي » من رماية الصيد .

من الاجناد ـ كثرهم الله تعالى ـ يرمون مكـــانالمسمار الذي يظهر اثره في الارض ، ويحسن كل الرمايات على انواعها ، ومثل هذا يعد من الجنـدالمغتنين ـ بارك الله فيهم ـ .

وليذكر ما يصلح من سلاح الجند ، ومـنذلك السلاح قوس التركاش : فينبغي ان يكون عند الجندي عدة قسي ان قدروا على شرائها ، قوسقربان ـ يعني قوس التركاش وهو العمدة عليـه لانه عبارة عن قوس الحرب . ويكون الميدان الذييسميه الاتراك « ميدان لك » والمغاربة تســمية « الاشريق » في قوس العقار يكون فيه طولا حتـىحتى اذا اراد الرامي ان يفوّق السـهم جعل فـوق السهم اسفل من العادة ، وهذا جيد لرمي العدوالذي عليه القرقل ، فان الرامي اذا كان تحت السـور والعدو اذا فوّق السهم اسفل عن العادة خـرجالسهم الى فوق ، ودخل بين صفائح القرقل ولا يضرّ الوتر اذا طال الميداني ويكون عند الجنـديوالامير قوى مدخر لرمي العدو في البحر الملح يكون الغالب في تركيبه الخشب وفي سيّاته طول ، ويكونعنده قوس منازعة وقوسان كبّاد احدهما الين من الاخر كل ذلك للرياضة حتى يجده وقت الضرورةخصوصا مثل القن في سن الشيخوخة وبحمد الله من الشـيوخ من يناهض الشبان .

٥٣ [التزود من السهام الحربية والتوقي بالتروس العدة]

ومن لوازم الجندي والامير : الاستكثار مـنالسهام الحربية ، والاستكثار من سهام الحسبان كل ذلك عدة في سبيل الله تعالى . والحسبان :هو النبل الذي يرمى به من المجرا وله اسماء عـدة بلغة الترك . فمنهم من يسميه « جبين اوقي » ،ومنهم من يسميه « نوك اوقي»، ومنهم من يسميه « قاوش اوقي » . والتركمان يسمونه « نوك » وقدتقدم ذكره وافضليته .

ومن لوازم الجندي والامير : ان يكون عندهمن التراس عدة ان قدر على شرائها : ترس حديد، وترس فولاذ ، وترس خشب ، وترس خيزران ،وترس جلد . ومن السـيوف مثله عدّة ، وسيف فارس وهو قصير ، وسيف راجل وهو طويـل ،وسيف قطع للحديد ، وللرمح [مثل ذلك] .

٥٤ [فنون الضرب بالسيف واتخاذ ما يناسـبهمن الخيل]

ومن لوازم الجندي : التملم في عمل الضربالسـيف فارسا وراجلا ، وكذلك الامير مثل ذلك .

ومن لوازم الامراء : اتخاذ عدة من الخيل لكلفن له فرس ، ففرس للحرب ، وفرس لرمـي الاغراض ، وفرس للسباحة ، وفرس للاسفار ،وفرس للرمح ، وفرس للزراقة ، وفرس للنشاب ، وفرس [...] وربما جمعت هذه الاوصاف فـيفرس عتيق ـ اعني الاصيل ـ مُرَبّى ، وقد يكون عند الجندي والامير ما فيه هذه الخصال التـــيجمعت كل خير ايضا .

٥٥ [نعت المقاتل بمكارم الاخلاق]

ومن لوازم الجندي والامير : ان يكون عفيفالنفس ، طاهر الذيل والمعتقد ، ويلزمـه ان لا يتمتعن في الاطعمة والاشربة ، ولا يتفنن فيهما لانذلك يؤدي الى ما لا خير فيه ، ويكون ذكيا نشـيطا قويا على السـهر ، صبورا على [تحمّل] الاهوال ،دائم الفكرة فيما هو بصدده ، ويجتهد في امهـات الفضائل الاربع ، اولها : الشهامة ، وهـي راسالامر . وثانيها : العقل . وثالثها : العدل في ذاتـه وصفاته ولمـن يليه . ورابعها : العفة . ومن كانت فيه هذه الخصال والفضائل فليرغب فيه ليليق ما عيّن له من الوظائف اللائقة بمثله . ومن كان غنياعنهذه الفضائل فلا ينبغي لهالتعرض لخدمةالملوك خصوصا للجندية لانها صعبة . وليح ايضا [منكانت له] القدرة [ان يتصف بهذه الخصال] لانها

مع الصنائع الشريفة سواء اكان الجندي من المرتزقة(١٢٤) او من المتطوعة(١٢٥). والمرتزقة : هم الجند المنزل اسماؤهم في الديوان السلطاني . والمتطوعة : هم الطرحان ـ يعني البطالين ـ الذين يجاهدون في سبيل الله تعالى ، ولم يكن لهم اسم في الديوان السلطاني .

٥٦ [صحبة القريب واتخاذ اللباس الواقي في الحروب]

ومن لوازم الجندي والامير : اذا كان وقت الحرب لا يدخل المعترك الا مع اقرب الناس اليه ، كالولد مع ابيه ، والاخ مع اخيه ، والقريب مع قريبه لينتفع بهم في مصافة الحروب ، اذ يمنعهم الاشفاق عن الانهزام ، ويصبرون على مشقة القتال ، ويحتشمون من التخاذل لما دخل بينهم من بعضهم لبعض من التودد والاحسان . وفي الجملة فلتكن كل طائفة مع اخيها ، وكل طائفة مع طائفة جنسه ، وقد فعل بعض الملوك غير ذلك فكان سبب هزيمة عسكره من ذلك الفعل .

ومن لوازم الجندي والامير : ان يتخذ عنده من اللباس الواقي وغيره مع القدرة فان [...] السلطان لطلب عدو فليستصحب السلاح الخفيف كالزرديات والكبر ، والبيض الخفاف كالكوافي ذوي البراقع ، وينبغي ان تكون الزردية مخاد ثنتان على الكتف كما تقدم ذكرها لتمنع نزول ثقل الحديد عن الاكتاف وقت الركض المتطاول ، ومن شرط طلب المنهزمين حفظ الخيل عن قوة الجري ، فليعلم ان الفرس كالقربة المملوءة ماء اذا لم يحفظ فمها نزل الماء بأجمعه . كذلك الفرس مثل ذلك ، والاحسن في طلب المنهزمين أن يكون ذلك على الهجن الاصائل ان تيسر ذلك ، وتجنب الخيل كما كان يفعل الصحابة ـ رضوان الله عليهم اجمعين ـ وبهذا الترتيب فتحت البلاد فلا يعول على غير هذا الترتيب . فاذا كان الامر على هذا الوضوح فحينئذ تعين على الجندي اقتناء الهجن من الفرس ان قدر عليها لمثل ذلك ـ ان امكنه ذلك ـ لاحتمال مهم سلطاني يأتي بغتة . ومن غلطات بعض الجند يقول : اذا وقع مهم سلطاني يشترى له فرس ، وصدق كلامه . فيشتري من الطواحين لانه ما يجد في السوق في ذلك الوقت غرضه ، فافهم ذلك !! . كما اتفق في نوبة بيبغا أرسن فعزت الخيل وشري من الطواحين .

٥٧ [الادوية اللازمة لاسعاف الجرحى في الحروب]

ومن لوازم الجندي المبصر : اتخاذ الذرورات(١٢٦) المانعة لخروج الدم(١٢٧) ، وهو عندي واجب يكاد يكون استصحابه للجندي عنده سفره من فروض الاعيان(١٢٨) ، فان الجندي ربما جرح في الغزو فلا يجد ذرورا يمنع من انقطاع الدم ، فاذا وجد عنده ربما يكون فيه استبقاء القوي باذن الله تعالى ، واذا استفرغ الدم كثيرا هلك الانسان فلامحالة ، ولاجل ذلك قلت : انه يكاد يكون استصحابه من فروض الاعيان لما في ذلك من استبقاء المهجة .

---

(١٢٤) المرتزقة : وهم الجند النظاميون ، وسماهم القدماء باصحاب الديوان من اهل الجهاد ، ويفرض لهم العطاء من بيت المال باوقات منتظمة .

(١٢٥) المتطوعة : وهم الجند الخارجون عن الديوان من البوادي والاعراب وسكان القرى والامصار الذين خرجوا في النفير العام الذي ندب الله تعالى له بقوله (وانفروا خفافا وثقالا ،وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) ويتطوع المسلم القادر على حمل السلاح طلبا للمثوبة والاجر العظيم في الحياة الدنيا او الشهادة والفوز برضاء الله ، وهي اسمى الامنيات .

(١٢٦) وهو ما يذر على الجرح لسد مساماته وشقوقه ليتقطع به نزف الدم .

(١٢٧) بل يكون ذلك من لوازم عموم الجيش ، فقد عرف العرب المسلمون ذلك ، واستصحبوا معهم الاطباء والبياطرة والمضمدين وغالبا ما يقوم بهذه المهمة نساؤهم ويسمون بـ «الاواسي» .. وكان العباسيون اذا جهزوا جيشا ارفقوا معه الاطباء لمداواة الجرحى واسعاف المرضى ، وكذلك ارفقوا الصيادلة لتركيب الادوية واعدادها بل وكان للجيش العباسي مستشفيات سيارة يحملونها على الجمال والبغال . (مجلة العسكري، العدد ـ ١٤) .

(١٢٨) فرض العين : يعمله الجميع ، واذا قام به البعض لم يسقط عن الاخرين خلاف فرض الكفاية .

والقن يذكر انواعا من الدرورات ، فمن ذلك :الملح المر اذا سحق بصمغ الزيتون وحشي به الجرح الطري الحمه من ساعته ويمنع من جريان الدم . وللجرح المسموم مما جربه القدماء : اذا سحق [حجر] المغناطيس بعد تكليسه وذر منه على الجرح المسموم ابراه باذن الله تعالى . ومن ذلك طرطير اذا حك منه على مسن بزيت طيب ودهن به على الجراحة الحمها باذن الله تعالى . والطرطير : هو دودي الخمر اذا جف وسحق وثمنه بخس ، وهو دواء رخيص الثمن . ومن ذلك « المحمودة » التي تسمى « السقمونيا » تسحق وتذر منه على الجراحة الحمتها . ومن ذلك « السيلقون » يلحم الجراحات اذ ذر عليها . ومن ذلك ورق الخس اذا جفف وسحق الحم الجراحات . ومن ذلك « انزروت » يذر منه مسحوقا يلحم الجراحات . ومن ذلك « الجنسين » يسحق ويذر على الجراحات العظيمة وانفجار الدم من الشرايين .

ولجبر العظام المتكسرة ، يؤخذ ورق الآس ،وهو المرسين المعروف ، يصب على العظام بعد ردّ ما يردّ منها ينفع ذلك باذن الله ـ عز وجل ـ و«العذرة» *الطرية بحرارتها تضمد على الجراحات فتلصقها . والعذرة : هو روث الانسان ، وفيه منافع كثيرة ليس هذا الفصل محل لذكرها . ومن ذلك « ثمرة البينج » يقطع الدم اذا جففت وسحقت وخاصة البنج الصعيدي وهو ثمرة شجر الاثل ، وهو رخيص الثمن . وقال بعض الفضلاء : ان هذه الشجرة كانت تقتلع ببلاد العجم فلما نقلت الى مصر صارت تؤكل ، وهي نافعة جيدة ، فاعلم ذلك !!. ومن ذلك « اصل النرجس »(١٣٩) قوية مجففة تسحق وتذر يلحم الجراحات العظيمة ، ويبلغ من قوته انه يلحم القطع الحادث من الوتران(١٤٠). ومن ذلك « الكندر » وهو حصا لبان الذكر ، يسحق وتلصق به الجراحات الطرية بدمها . ومن ذلك « السذرور » يقطع الدم ، وهو عفص جزء ، وزاج اربعة أجزاء ، وشب يماني دانق ، يسحق الجميع ويتخل في خرقة فاذا انقطع الشريان فيملأ منه قشر فستقة ويضعها عليه ويشد جيدا ، ويذر منه على الجرح وعلى المقر النادي ، ولا يستعمل الا والدم سايل . و « الحناء » ايضا ينفع الجراحات والعورات ، يعجن بالزيت الحار . وايضا « قشور الحديد المصدأ» يلحم الجراحات اذا سحقت وذرت على الجرح يبرأ بالتكرار . ومن الخواص ايضا :من اخذ جزءا من سماق ووضعه في خرقة صوف حمراء وعلقه على عضو اصابه ضربة سيف أو سكين اورمح ، فانه ينقطع جريان الدم باذن الله تعالى . وهذا منقول من ذخائر بعض الملوك ـ تغمده الله برحمته ـ .

ومما يخرج نصول السهام اذا نشبت بالبدن ،انفحة الارنب(١٤١) اذا خلطت بخطمي(١٤٢) : وهي الملوخية بزيت طيب ووضعت على الموضع المنشوب في البدن اخرجت النصول باذن الله تعالى ، ولها منافع كثيرة غير ذلك . وقد خرج الكلام عن المقصود فيرجع الى المعهود ، وذلك ان ادوية الجراحة لو تتبعت لن تحصى .

٥٨ [الجهاد سبيل المؤمنين]

ومن لوازم الجندي : أن يعتقد ان صناعته اشرف الصنائع وابهاها ، ولو اجتهد الجندي حق

---

* ولا استغراب في ذلك اليست مادة البنسلين قد استخرجت لاول مرة من عفونة الطعام ، وان اول من استعمل ذلك العرب المسلمون في تضميد الجراح الملتهبة من العفونة المتراكمة تحت سروج الخيل (! (المحقق) .

(١٣٩) النرجس ، بفتح النون وكسرها ، نبت من الرياحين ،من فصيلة النرجسيات اصله بصل صغار ، وورقه شبيه بورق الكراث ، وله زهر مستدير ابيض او اصفر تشبه به العين ، فيقال لونها نرجسي . (المنجد) .

(١٤٠) كذا الاصل .

(١٤١) انفحة الارنب : معدته .

(١٤٢) الخطمي ، بفتح الخاء وكسرها : نبات من فصيلة الخبازيات ، كبير الحجم ، يعيش في الاماكن الرطبة ، يزرع احيانا لفوائده الطبية ، وهو يستعمل كملين . (المنجد).

الاجتهاد في عبادة الله تعالى لم يؤد شكر ما انعم الله تعالى اذ هل لمثل ذلك فليتق الله ربه ، ويتمثل ما في هذه الابيات التي كتب بها عبدالله بن المبارك(١٤٣) ـ رضي الله عنه ـ الى الفضيل بن عياض(١٤٤) ـ رحمة الله عليه ـ لما كان الفضيل مجاورا بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ فقال فيها :

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا	لعلمت انك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
او كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الكريهة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	وهج السنابك والغبار الاطيب
ولقد اتانا من مقال نبينا	قول فصيح صادق لا يكذب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب
لا يجتمعن غبار خيل الله في	انف امرىء ودخان نار تلهب(١٤٥)

٥٩ [المواظبة على الرياضات مع تنوع الآلات]

ومن لوازم الجندي : المواظبة على الرياضات مع تنوع الآلات ، ولا باس بلبس الدروع والترقل وقت الرياضة ، وهي من رياضة الفرسان القدماء المعدودين ، لكن هذا الفعل لا يصلح اعلانه لما في ذلك من قبح الشهرة واساءة الاداب ، وهو لا يصلح الا للملك خاصة .

ومن سوء الاداب للفرسان تعليق البرجم في لين السرج ، وكذلك تعليق القنطرية في الرمح ، كل ذلك لا يصلح الا بشرطه المعتبر عند الفرسان من اهل الخبرة منهم ، اما تعليق البرجم ، ولا يعلقه الا من قتل عدوا من الكفار . واما تعليق القنطرية فلا يفعل ذلك الا من فعله مثل ذلك او استاذ في صناعة النشاب والرمح ، وفي تعليم الخيل وفي غيره ، فافهم ذلك !!.

او ممن ابلى من نفسه بلاء في الحروب . والذي أراه وسمعته من الاستاذين ذوي التجارب الحربية : انه يجوز فعل ذلك لمقدم المقاتلة وقت الحرب خاصة . والاحسن ان يستأذن في ذلك ممن هو أعلى مرتبة منه ، لان شهرة مثل ذلك تلزم اظهار الشجاعة ، ونصيحة الملك ، وكان قائل يقول ما معنى الشجاعة فقد قيل : الشجاعة : هي توسط القوة الغضبية فيما يغضب له ، ولا يغضب بحسب الراي الصحيح وهي متوسطة بين الجبن والتهور .

٦٠ [نعوت اخرى في مكارم الاخلاق]

ومن لوازم الجندي والامير : سعة الصدر :وهو أن لا تتاثر النفس بهجوم الحوادث ، ومن ذلك : كتمان الاسرار خصوصا الاقربين من الملك ،وكتمان السر : هو عبارة عن ضبط قوة الكلام عن اظهار ما في الضمير في غير وقته واهله . ومن ذلك :الامانة ، وهي حفظ النفس من التصرف فيما لغيره

---

(١٤٣) هو ابو عبدالرحمن ، عبدالله بن المبارك ، الحافظ المجتهد ، احد الائمة الاعلام ، ولد بمرو سنة ١١٨ هـ ، وخرج الى العراق سنة ١٤١ هـ فلقي التابعين فيها . توفي بمدينة « هيت » في العراق سنة ١٨١ هـ ودفن بها وقبره فيها معروف يزار . (تاريخ بغداد ، للخطيب : ج ١٠ ، ص١٦٨ ، النجوم الزاهرة : ج٢ ، ص ١٠٣ ، البداية والنهاية ، لابن كثير الدمشقي : ج١٠ ، ص ١٧٧) .

(١٤٤) هو ابو علي ، الفضيل بن عياض التميمي اليربوعي ،اسند الحديث عن كبار التابعين ، وله عدة مصنفات في ذلك ، تزهد ونزل كل شيء ثم رحل الى مكة متعبدا فيها ، وكان من اصحاب ابن المبارك ، توفي بمكة سنة (١٨٧ هـ/٨٠٣ م) . (البداية والنهاية ، لابن كثير : ج ١٠ ، ص ١٩٨ ،والطبقات الكبرى للشعراني : ج١ ، ص ٥٩ ، والنجوم الزاهرة ج٢ ، ص ١٠٣) .

(١٤٥) ومن رواية الذهبي : ان عبدالله بن المبارك لما كان مرابطا بطرسوس سنة سبع وسبعين ومائة ، ارسل الى الفضيل بن عياض رسالة فيها هذه الابيات ، فلما قراها الفضيل ذرفت عيناه ، ثم قال : صدق ابو عبدالرحمن ونصح !! . (النجوم الزاهرة : ج٢ ، ص ١٠٣) .

عنده لينتفع به ، وحفظ ذلك عن غير خاصة الاباذنه وضبطه عن ما يفسده بحسب الطاقة فان كان يحتاج الى ذلك . ومن ذلك : الصدق ، فاصله موافقة الاله المعبود ، وفي حق البشر هو موافقة الامر في نفسه . قال القن : وشرطه بسط النفس عند بروز اوامر الآمر وان عظم الخطب . واما الوفاء : فعزيز جدا ولا يتاتى فعله الا من آحاد الرجال وقديمكن فعله من النساء اللواتي تشبه خواص الرجال. وقد جرى ذلك من نسوة كن حجة على كثير من الرجال الخائنين ، فيالهن من نسوة !! ويا ويلهم من رجال !!. والذي يراه القن ويعتمده ويشكر فاعله من يحفظ الوفاء مع الملوك واولادهم من بعدهم وخدمهم . وما رايت انم موافاة ولا اقوى همة وكمال رجولة من شخص كان يسمى « المبارز » احد المماليك السلطانية ، كان بصحبة الملك الناصر احمد ـ رحمه الله تعالى ـ لما توجه الى «الكرك»(١٤٦) وقدر ما اراده الله تعالى ، فكان هذا المبارز يذب ذبا عظيما ، ويقاتل قتالا شديدا ، ولم يكن له عند السلطان احمد تلك المنزلة ، واكثر المقاتلين موافاة الا هذا البطل فوفى الى آخر وقت وحمد فعله وجوزي على ذلك ـ وكان شيخا ـ .

قال القن : ولا تصح الموافاة على تمامها الالرجل واحد قد اختاره الله على غيره . ان تقصد بالموافاة : وجه الله الكريم وحفظا للتربية ، وذكرالخبز والملح اللذين هما حجة على الخائنين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ـ لا بارك الله فيهم ـ وسابين ذلك لكل عبد مؤمن اواب ومخصص ثواب ما فعلته الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بين يدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك ان ابا عبيدة ابن الجراح قتل والده يوم احد ، وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر ، وقتل مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ اخاه يوم احد ، ودما ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ابنه عبدالرحمن للبراز يوم بدر ، فمنعه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ان يخرج اليه . ولم يبق احد من الصحابة الا وقد قتل يوم بدر ويوم احد قريبا او عشيرا في طلب رضى الله تعالى ، فانزل الله تعالى فيهم : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم اوعشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم وايدهم بروح منه)(١٤٧) الى آخر السورة .

قال القن : والموافاة غرائز مخصوصة في طباع الرجال الكرام ، ولو فرضنا ـ والعياذ بالله تعالى ـ ان فر كل العسكر وبقي رجل واحد منزاح العلة اعني على فرس صحيح سالم من جراحة ـ قادر على الكر والفر ، ومع المقاتل ما يقاتل به من انواع السلاح ، فثبت ولم يوافق المنهزمين ، وقاتل بمفرده اما ان يقتل او يسلم ، فان قتل : فهو مقاتل واجره على الله ، وقد وقع مثله [لبعض] الصحابة ، قال بعضهم : (ما من المنايا بد ، فهالك معذور خير من ناج فرور) .

حدثني استاذي وشيخي الولي الكبير ذوالمناقب الفاخرة ، والايادي الزاهرة ، ناصر الدين محمد ابن قلاوون [...] الدولة احد الاجناد الظاهرية(١٤٨) انهم كانوا يحاصرون بعض قلاع العدو : ان اهل الحصن قد اذعنوا للصلح مما جرى عليهم من المسلمين ، فمنعهم المقدم عليهم وكان له خبرة وشجاعة فلم يرض بذلك وامتنعوا من التسليم وقاتلوا قتالا شديدا لم يكن قبل ذلك . وقد اثر فيهم همة ذاك الكافر ، وسمع السلطان الظاهر به فبلغه انه قتل فتالم عليه ، هذا بعد اخذ القلعة منهم ، هذا فعل كافر فبالاولى ان نختص نحن بهذه الافعال الجميلة والصفات الحميدة .

---

(١٤٦) الكرك : مدينة في الاردن على بعد ١٤٨ كم من مدينة القدس ، وكانت حصنا سورا ، احتلها الصليبيون ، وحررها صلاح الدين الايوبي من سيطرتهم بعد ان ظل حصنها سنة ١١٨٨ م ، واصبحت فيما بعد قاعدة لدولة المماليك ، وذلك سنة ١٢٠٩ م . (المنجد في الاعلام) .

(١٤٧) سورة المجادلة ، الاية : ٢٢ .

(١٤٨) نسبة الى ركن الدين الملك الظاهر بيبرس .

٦١ [اعتماد بعض فنون الرمي]

ومن لوازم الجندي : ما يعتمده وقت رمـيالقنج ، وكيفية الرمي في الناورد ، وكان القن قد ذكره قبل ، ولم يذكر الكيفية وكيفية الرمي على اثرالحوافر ، وكنت أيضا قد ذكرته قبل ، ولم اذكـر الكيفية [...] اذكره لك فافهم .

واما نصت الارض ـ أعني صفة الارض التيركض فيها الفرس لرمي الاغراض ـ فيكن سعتها ثلثماية ذراع ، لا حفرة فيها ولا نكبة ولا حجارة ، فاذا مرّ الجندي بفرسه على الغرض ليرميه فليكن بينه وبين الغرض ـ أعني علامة البرجاس خمسةعشر ذراعا ، قالها المؤلف وهذا [...] هو كذلك لكن فيه تفصيل ، فتارة يبعد ، وتارة يرمي ، فمن رمى تحت الركاب فله أمر، ومن رمى غير ذلك فله أمر ، وذلك أن القدماء كانوا ينصبون الاغراض علىرماح طولها مما يحاذي يد الرامي . هـذا حال المبتدىء منهم ، واما وقت نزع السهم فالذي اختارهالقدماء وهو الغاية ان ينزع الفارس وهو سـائق لفرسه أن يجر القوس ويستوي مع مقدم وكبتيهمنحرف الى عنق الفرس ، ويعقد اصابعه ثلاثة وستين على جار العادة ، وقيل : ان ملاك الامر فيالرمي على الفرس الراكض حفظ اليـساري . قـال المؤلف : ملاك الامر في كل شيء لبات القلب اذ بهصلاح كل شيء وفساده ، فاذا رمى الجندي فليدر القوس ويطرحها في ذراعه الايسر بسرعة ، ويكونالوتر الى جهة كتف الفرس وهو الصواب ، والناس يجعلون الوتر الى جهـة خاصرة الفرس وليسبصواب ، وفيه مفاسد كثيرة معلومة عند العارفين. يقولون عند القتال : فربما يضرب الوتر بالسيف فيقطع فيبطل منالرمي، فلاجل ذلكذكرت [...] واما كيفية الرمي في الناورد فتنصب الاغـراضمدوّراً وترمى وهو رمي أهل الروم وفارس قديما ، والصنعة فيه أن تستعمل اليد اليمنى في العنـانقليلا لدوران الفرس الغشيم ، فاذا تدرب الفارس والفرس في الناورد حصل النفع لهما وربما انتفعا فيالمحاربة وقت الرمي علىالعدو. وكان بعضالملوك ـ رحمه الله ـ يأمر اربعة نفر كل منهم معه رمـحطوله سـتة اذرع في كل رمح علامة وهي « طرّة »(١٤٩) وترفع تلك الرماح ، ويأمرهم يجرون خيولهم كجرى فرس الملك : شخص قدام ، وشخص على اليـسار ، وآخر على اليمين ، وشخص خلف ، ثم يـسوقوترمي سريعا ، وكان يأمر بعمل خمس برجاسات في قائمة واحدة متفرقة بين كل برجاس وبرجاس عظمذراع ويحملها فارس ويركض امامه ، ثم يرميها وهو راكض ، وذكر وجه اخر لا فائدة فيه ، وهو الامر بان يشال(١٥٠) خمسة غلمان ، وارجلهم نحو السماء ورؤوسهم الى اسفل ، ويجعلون بين أرجلهم رقاع[...] يسوق الفرس ويرمي والاول احسن والطف واصوب .

واما كيفية الرمي على اثر الحوافر : فقـدتقدم القول فيه .

واما الرمي الذي يحتاج اليه الاجناد : فهـوالرمي على حد السيف لتراه رسل الاعداء كالافرنج وغيرهم ، وهذا داب الجنديالنازح الملة ، والانقطاعالجيد الكافي له ولعياله ولخيله وما يحتاج اليه من المهمات السلطانية ـ نصر الله عساكرها وأيّد كلمتهـا .

اما كيفية الرمي على حد السيف : فينصبسيف على قائمة ويستوثق منه في الارض غايـة التوثيق وحدّه ناحيةمركضك ثم يعمد الى نشابةعلى نصل فتقطع قطعا مستويا ثم يساق الفرس ويرمى على حد السيف لتشق النشابه عليه .وكذلك تصب خمس نشابات ويرمى عليها ان قدرت

---

(١٤٩) وهي الطفراء كما في تواقيع السلاطين .

(١٥٠) وهو من لغة العوام ، ويستعمل ايضا في العامية البغدادية ، وهو بمعنى : يرفع .

على فعله افعل ، ويقال : ان بعض الرماة المجيدين كان يرمي على وتر الخصم فيقطعه ، وربما انعطب الخصم عند قطع الوتر ، وربما انكسرت القوس .وذكر القدماء ما يحتاجه الجندي من الادمان على الغرض(١٥١) للطيور الطائرة فارسا ، وقال بعضهم او راجلا لاجل الادمان ، وكذلك الامير يفعل مثل ذلك : وهو ان يعمد الى خشبتين فتحفر لهما وتثبتهما فعند ذلك فتنصب في الارض ويكون بين الخشبة والخشبة عشرون ذراعا او اكثر ثم تمد من الخشبة الى الاخرى في اعلاهما حبلا وتعلق عليه غرضا في وسط الحبل مبطوحا وجهه الى الارض فيساق الفرس بين الخشبتين ، فاذا صرت تحت الغرض المعلق ترفع راسك وترمى الغرض بالباقية الى فوق ويحتاج ان يمد الرامي راسه [...] لمعرفة الفرس عند رميه ، وان جعل الغرض طبلا معلقا كان جائزا .

ومن لوازم الجندي ايضا : رمي « البنجكان »وهو بالفارسية ، والبنجكان بكسر الباء ، والبنج : خمسة في العدد بلغة الفرس ، ومعناه هنا : الرمي بخمس نشابات ، وهو الرمي الذي ليس وراءه رمي على راي القدماء . قال القن : وهو جيد للرمي على العدو فوق الاسوار . وكان الملوك قديما يفضلونه ، وكانت الاكاسرة يختصونه هم ومن يليهم باحكامه ويهجرون من له يحكمه ، ويضنون به حتى لا يتعلمه كل الناس . وقالوا : ان الرمي افضل السلاح للفرسان وللماشي خصوصا رمي البنجكان الذي هو الرمي بخمس نشابات على الخيل وعلى رجليه ،وقيل : ان اول من احدث رمي البنجكان كسرى ، فانه امر لبسطام ان يرمي بين يديه اسدا فرماه بسهم فلم يقتله ، فقال كسرى عند ذلك : هذا سلاح ناقص فاحدث بفكرته ان يرمي بعشرة نشابات وقد رمت القدماء في طلق واحد بخمس عشرة نشابة، وهو لا يمكن الا بنشاب دقاق .

واما انواع تفويف رمي البنجكان : ففيه نوع،وهو ان يجمع النشاب مع اليسار مع القوس ، ويسمى ذلك « الابين المندوب » . ونوع اخر :خمس تحت الوسطى والبنصر من يدك اليمنى ، فوق كل سهم بين كل اصبعين ان كانت السهام ثلاثة ، فان كانت ستة جعلت فوقي كل سهمين بين كل اصبعين او ثلاثة افواق بين كل اصبعين او اكثر مما قدرت عليه منها وساعدك عليه طبعك وطول اصابعك ، ووجه اخر وهو سريع : وهو ان تاخذ ثلاثة اسهم او ستة اسهم او اكثر مما قدرت عليه وما ساعدك عليه طبعك فتجعل اوساطها بين اصابع يدك وفواقاتها وريشها مع باطن ذراعك ، وتفعل كما فعلت في الوجه الاول وهو احسن الوجوه واشدها نكاية واقواها ، وبيان ذلك في رمي العشرات من السهام الطوال وصفتها : ان تكون رقيقة البري،رقيقة الفواقات جدا ، خفية النصول جدا ، حتى قال بعض الرماة : يجعل لها نصول من اصل الطرف الغليظ من ريش النسر والعقاب ، ويكون زنة كل منها ثلاثة دراهم ، فاذا كملتها على هذه الصفة ركبت عشرة منها في الوتر ، واحدا على واحد، وتفتح جميع اصابع يدك اليمنى ، وتدخل الوتر بين الوسطى منها والبنصر واصابعك هابطة نحو الارض وتدخل السهام باصبعك الوسطى من داخل القوس والابهام من خارج القوس ، وتضعها عند القبضة مع المقبض على سبابة يدك اليسرى : وتمكن يدك في المقبض ، وتقبض عليه قبضة الاستواء ، وتقيم ابهام يدك اليسرى لتمسك السهام بها وهي منتصبة واحد على واحد لئلا تتحرك او تختلف نضدها ، ثم تعقد عليها بان تدخل الوتر بين السبابة والابهام من يدك اليمنى الى اصلها وتجعل السبابة هابطة مع فواقات السهام من داخل القوس والابهام هابطة معها ايضا من خارج القوس وتعقد عليها عقد عشرين ، وهو ان يجعل طرف الابهام بين عقدة السبابة والوسطى ، ويكون ما بين العقدتين من وسط السبابة على ظهر الظفر من الابهام وتجر وتفلت فانها تخرج عن القوس كخروج سهم واحد وتقع في المرمي عليه [الهدف] ويصير كالقنفذ ،فينبغي ان لا يصنعها ولا يتعرض لها من يعرفها من

---

(١٥١) الغرض : بمعنى الهدف الذي يتصده الرامي عند الرمي.

يتقدم له فيها عمل ولا دربة ولا ارتياض بانه [اساء]وضعها من لم يتدرب فيها [...] السهام عليه واختلفت وفسد عملها ، وتعذر عليه فعلها ، ولم يمكنه رميها ، فاستهزأ بها وظن انها فاسدة .

واما كيفية رمي اثر الحوافر فساذكره : وهوان تسوق فرسك في ارض لم يكن فيها اثر بحافر فرس ثم تلتفت فترمي مواضع حافر فرسك .والصنعة في ذلك ما أوضحه القدماء ـ رحمهم الله ـ وهو ان تضع يسارك وقوسك فيها بعد مدك للنشابة أو الخمس نشابات عند اصل ذنب فرسك من الجانب الايمن ، وكان القن فيما تقدم قد ذكرالرمي على الحوافر ولم يذكر الكيفية فيه .

واما رمي الفارس للفارس معارضة ، قال القدماء : اذا اردت ان ترمي عدوك وهو فارس فارم مقاديم فرسه او صدره ، ويكون تعمدك ابدا في المواجهة صدر الفرس . قال القن : اذا كان فرس خصمك مستورا بالتجفاف(١٥٢) وهو اكبر [...]فلا ترمي الا يد انفرس ورجليه . وقالوا : لا يرمي خصمه حتى يتحقق انه لا يخطئه ان كان ماشيا اوراكبا ، فافهم ذلك ترشد !!.

ومن لوازم الجندي المجتهد في صناعة الملازم لها المتفكر في دقائقها : ان يتعلم انواع التكبيدات فارسا وراجلا ، راكضا وماشيا وجاريا بالاقدام ،ثم مضطجعا ثم جالسا .

ومن لوازم الجندي : ان يكون عنده علم من الزراقة ان تيسر فعلها .ومن مهمات صناعة الجندية معرفة عقود الرماية وكيفية القبض بالشمال ،وكيفية القفلة ، وكيفية المد ، وكيفية الاعتماد ، وكيفية الافلات ، وكيفية مرور السهم على اليد اليسرى . ومن الاحتراس في الرماية من العيوب الحادثة المنهي عنها : احدها عقد السبابة اليمنى ،وايضا في اليسرى عند اصل ابهامه وسطع الوتر ، اما في الذراع او في مفاصله ، وسطع الوتر : اللحية،وكسر فوق السهم ، وتحريك السهم في مروره .

ومن لوازم الجندي : ان يعرف كيفية الوقوف للاغراض ،والجلوس كما نبه عليه الاشياخ في اقوالهم وفي كتبهم فجزاهم الله خيرا عن المسلمين .

وسيذكر القن ان شاء الله تعالى على التفصيل ما ذكره الاشياخ في جميع ذلك ليكون مختصري هذا تذكرة لاولي النهى ، ولولا الاختصار لطال المصمار .

٦٢ [عدة عقود الرماية والعلم بها]

اما معرفة عقود الرماية : فهي ستة عقود وهي ثلاثة وستون ، وتسعة وستون ، وثلاثة وسبعون، وثلاثة وثمانون ، واربعة وعشرون ، ويسمى(الخرواني) . واثنان وسبعون ويسمى (الرديفي) وما عدا هذه العقود الستة تقليل النفع والفائدة ،واحسن هذه العقود واقواها واشدها وانكاها واعظمها فائدة ومنفعة عقد ثلاثة وستين ويليه عقدتسعة وستين وهو اضعف منه واقل قوة وقد تقدم ذكره ، وقال بعضهم في منزلة ثلاث وستين .وزعم بعضهم : انه اسلس للاطلاق واحدّ للسهم . قال الاستاذ ـ رحمه الله ـ : وانما كان اضعف منه لعدم القفلة . واما عقد اثنين وسبعين وهو يسمى (الرديف) ويجوز الرمي فهو لبعض عقد الاعاجم ، وهو عقد جيد لجبد(١٥٣) القسي الصلبة والمنازعة فيها وهو صعب الافلات . وقد تقدم كيفية العقود عند ذكر تقليب الاصابع ، فمن اراد كشف ذلك فلينظره في موضعه فانه يجده مبيّنا.واما صفة العقد : فاختلف الرماة فيه في موضع الوتر من الابهام ، وفي موضع طرف الابهام ، وفي موضع السبابة . وقال حذاق هذه الصناعة : ان يكون طرف السبابة على الوتر عند الجذب والاطلاق قال بعضهم : وهو احد للسهم واسرع للافلات . واما القبضة بالشمال ، قال الاستاذ ـ رحمه الله ـ: وكان اسحاق الرّفي يجعل مقبض القوس في الحز

---

(١٥٢) التجفاف والتجفاف ، والجمع تجافيف : آلة للحرب يتقى بها كالدروع ، للفرس والانسان . (المنجد في اللغة) .
(١٥٣) كذا الاصل ، والصحيح : لجذب ، بمعنى السحب .

الثاني من اصابع يده اليسرى والابرنجق الاعلى من مقبض القوس ملاصقا للعقدة السفلى من ابهامه وطرف الابرنجق الاسفل على قدر عرض اصبع من طرف عظم زنده ؛ ويشد اصابعه الثلاثة الخنصر والبنصر والوسطى من يسراه شدا عنيفا وسبابته وابهامه لينتان تكونان قبل المقبضة وبعدها سواء لا قوة فيهما ولا شدة ؛ فيكون قد عقدت بهما مثل عدة ثلاثين . قال الاستاذ ــ رحمه الله ــ وهذا اجود المذاهب واحسنها .

واما الاستواء والتحريف في القبضة فقد قال الاستاذ ــ رحمه الله ــ فيهما قولا بينا ، قال : استواء القبضة للعرب والتحريف للعجم ، واصل الاختلاف بينهما في الوقوف للغرض ، ممن اختار الوقوف محرفا صنع قبضة قوسه مربعة ، والقبض عليها بالتحريف صواب ؛ والقبض عليها بالاستواء خطأ ، ومن اختار التوسط في الوقوف بين التحريف والاستواء صنع قبضة قوسه متوسطة بين التربيع والتدوير وتكون المقبضة على قدر الكف ، فمن كان كبير الكف فلابد ان يكون مقبضة قوسه غليظة ملء كفه ، ومن كانت كفه صغيرة او متوسطة فكذلك يجعل قدر كفه .

واما الاختيار في المقبضة : فمن كان مذهبه التوسط بينهما لم يشبع كفه في المقبض ولاحرف المقبض في كفه ايضا وهو احسن المذاهب واجودها ، فخذ النفس فيه ، واعتمد عليه ، وقد قيل : الاختيار فيها ان تقبض عليها بجميع الكف للرمي فان بقي ما بين أطراف اصابعه وكفه عرض نصف اصبع فهي جيدة حسنة ، وان زادت او نقصت فلاخير فيها ، قال الاستاذ ــ رحمه الله ــ واجمع الرماة على ان شدة الرمي وقوته ونفوذ السهم وحدته فهو من شدة القبضة على المقبض حتى تكاد الانامل تقطر دما . وقال قوم من العجم بضد ذلك : هو ان شدة الرمي وقوته ونفوذ السهم وحدته من رخاوة القبضة ولينها .

وقال القن : ومن اراد ان يستوفي علم الرماية فعليه بمطالعة كتاب الاستاذ جمال الدين عبدالله بن ميمون ــ رحمه الله تعالى ــ وهو كتاب مفيد يصلح للجند مطالعته واقتباس فوائده الجليلة وقد اختصر كتابه الكبير في مختصر سماه « كفاية المقتصد البصير في الرمي من القوس العربية بالسهم الطويل والقصير » . واما كتابه الكبير فسماه كتاب «الافادة والتبصير لكل رام مبتدىء وماهر نحرير » . فكان الاستاذ المذكور ــ رحمه الله ــ قد ذكر في كتابه الكبير ، كيفية سرعة التفويق ؛ ولم يبين المقصود. وقول القن : لم يبين المقصود ، ليس هو ردا على الاستاذ وانتقاصا لعلمه . والمقصود من سرعة التفويق وقت المطاردة والجولان مع الاقران . وقد بين الداعي ذلك في الرسالة المذكورة بعد وبالله الاستعانة والاستغاثة ، واما المقصود من تركه الاستقصاء في ذلك لعل ان يكون احد من بعض غلمانه يتم ذلك فتركه للاستقصاء عن ذلك فتوة منه واحسانا لمن يأتي بعده ؛ فلما من الله تعالى على القن بمطالعة كلام الاستاذ في الكتاب الكبير ، الف القن هذا رسالة سماها « رسالة التحقيق في سرعة التفويق » وهي نافعة للاجناد ولم ار احدا ممن خدمته ذكرها ، ولا رايت فيها قولا لاحد من اهل هذه الصناعة ، ويحتمل انهم ذكروا كيفية سرعة التفويق ، ولم يحط القن برؤية ذلك والله تعالى اعلم ، ولولا خوف الاطالة لذكرتها ــ اعني كيفية سرعة التفويق ــ لكن لم يكن عادة المؤلفين ، وملخص ما فيها : ان الخصمين اذا تلاقيا ويكون مع كل منهما قوس وسهم فايهما الذي يفوق اولا هو الذي يصيب خصمه . وهذه النكتة ضرورية للجندي علمها من علمها ، وجهلها من جهلها وبالله التوفيق والاعانة ، وهو حسبي ونعم النصير ، وقد ذكرت ذلك قبل ..

٦٣ [من لوازم الاجناد التحلي بالمثل والقيم الدينية]

ومن لوازم الاجناد ــ نصر الله سلطانهم ــ : ما ذكره القن في كتاب « الدر الثمين في احوال المتقدمين » : ان يجتنب الجندي الوقوف في الاسواق التي لا يليق لمثله الوقوف فيها ، كسوق

العطارين ، وسوق الصاغة ، بل يقف في سوق الخيل ، وسوق السلاح ؛ وسوق الكتب اذا كان ممن يحسن قراءة الكتب فان كان يحسن قراءتها فينبغي له الوقوف في ذلك السوق ، ولسان حال هذا الجندي مشعر بقول القائل :

أعز مكان في الدنا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

وهذا البيت للمتنبي ، ومن حسن نيات الاجناد في الحروب ما قاله علماؤنا ـ رضي الله عنهم ـ في مدح الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ انهم كانوا يقولون : (لو نعلم اي الاعمال أفضل وأحب الى الله تعالى لعملناها) فأنزل الله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون)(١٥٤) . فقال عبدالله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ لما سمع الاية الكريمة : (لا ازال حبيسا في سبيل الله حتى اقتل) الى هنا انتهى كلام الشيخ العلامة ابن العربي في كتاب « أحكام القرآن» (١٥٥) له ، فانظر يا سيدي ما أعلى هذه الهمة وما أسناها !! وفي الحقيقة : ما امتن الله ـ سبحانه وتعالى ـ على احد ممن كان قبلنا الا لنقتدي به وصدق ذلك قوله تعالى : (لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب)(١٥٦) . وقال تعالى : (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم)(١٥٧) .

وهنا نكتة حسنة يتعين علمها لكل مجاهد موفق اوّاب ، وهي قوله تعالى : (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص)(١٥٨) . قال الشيخ العلامة في « أحكام القرآن » بنيان مرصوص في ذلك ثلاث مسائل ، مرصوص :اي محكم ثابت كانه عقد بالرصاص ، وكثيرا ما يعقد به الابنية القديمة . والمسالة الثانية ؛ يحب الذين :هي زادة الثواب للعبد . والمسالة الثالثة : في احكام الصفوف جمال للصلاة ، وحكاية الملائكة ، وهيبة في القتال ، ومنفعة في ان يحمل الصفوف على العدو ، واما الخروج عن الصف فلا يكون الا لحاجة تعرض للانسان ، مثل : اراقة الماء ، او في رسالة يرسلها الامام ، أو منفعة تظهر في المقام لفرصة تنتهز ، فلاخلاف فيها ، او تظاهر على التبرز [اي البراز] للمبارزة ، وفي الخروج عن الصف للمبارزة ، خلاف على قولين ، أحدهما : انه لا بأس بذلك ارهابا للعدو ، وطلبا للشهادة ، وتحريضا على القتال .وقول لاصحابنا ـ يعني المالكية ـ : لا يبرز احد طالبا لذلك ، لان فيه غالبا رياء وخروجا الى ما نهى الله تعالى عنه من تمني لقاء العدو ، وانما تكون المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت في حروب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم بدر وفي غزوة خيبر ، وعليه درج السلف ـ رضي الله عنهم ـ قال القن :ولابد في الخروج الى المبارزة من طلب اذن الامام او اذن امير الجيش . قال محمد بن منكلي ـ مؤلف هذه الرسالة المباركة ـ : وهنا بحث يطول ، وهذا الكتاب اشترط فيه الاختصار ، وقد تقدم القول ان يذكر : ان صناعة الجندية مبنية على اصول اربعة وفروع شتى ، وها انا ذاكرها ؛ اما الاصول الاربعة : فالتمسك بالشريعة ظاهرا وباطنا ؛ ثم نصيحة السلطان مع الذب عنه والدعاء له ، ثم اظهار الشجاعة والثبات عند ملاقاة الاقران ، ثم علم حركات القتال والجولان فارسا وراجلا .

واما الفروع : فهي اللياقة في الاعمال الحربية مطلقا حيث كان العمل بها ، اذ لا تكاد تضبط لكثرة تعدادها . ومن الفروع التي تكاد ان تصير اصلا :وهي ترك السفه عند ملاقاة الاقران في الحروب ، وذلك من صفات الجبناء الحمقى الذين يحسبون انهم يحسنون صنعا ، نعوذ بالله من ذلك !! ولن يصلح في وقت ملاقاة الاقران في الحروب غير الصمت كما قيل :

اما ترى الاسد تخشى وهي صامتة والكلب يخزى لعمري وهو نباح

---

(١٥٤) سورة الصف ، الاية : ٢

(١٥٥) « أحكام القرآن » للقاضي ابي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي الحافظ المالكي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ وهو تفسير خمسمائة اية من القرآن متعلقة باحكام المكلفين .ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون : ج ١ ، ص ٢٠ .

(١٥٦) سورة يوسف ، الاية : ١١١ . (١٥٧) سورة النساء ، الاية : ٢٦ . (١٥٨) سورة الصف ، الاية : ٤ .

ـ يعني ويخسا وهو نباح ـ وفي الصمت حكمة خصوصا في وقت الحرب . ولو عد القن مفاسد الكلام وقت الحرب لخرج عن المقصود. ولا يعترض معترض كون القدماء من العرب كانوا يتناشدون الاشعار وقت اللقاء ، وذلك انهم كانوا يتفاخرون بالفصاحة ، واقول : ومع ذلك فلابد من فلتة اللسان يفهم منها اما عيٌ في اللفظ او ما يدل على تعب او استدلال في الصوت من طريق الفراسة، يفهم منه الجبن أو شيء شين . فاذا فهم من ذلك الخصم طمع وازدادت قوته . وفي التقدير : لو قيل ان المتكلم وقت لقاء العدو ربما يحكي بصوته صوت الجبناء ليطمع فيه . ففي الجملة ليس هو بطائل كان المتكلم يستدعي قوة الخصم ليقوى عليه ، فالحذر من ذلك !!..

وصية من القن لاخوانه السادة الجند وهي منوطة بنصيحة ، اول ذلك لا يصحبون الاشرار ولا الفساق في الاسفار لطلب العدو ولا لغير طلب العدو، ولا ممن لم يحفظ خبز استاذه ولغيره ايضا ولا ممن له راي معكوس ، ولا ممن يحب الشهرة ، ولا ممن لم ينصح سلطانه ويذب عنه ، ولا ممن لم ينصر صاحبه ان ساله ، ولا ممن خرج الى السفر بغير اذن والديه او احدهما ، او بغير اذن مواليه ، ولا يصحب المرتاد في كل مكان خصوصا في سفر الغزو ، ولا ممن لم يعرف صناعة الجندية خصوصا المتغافل عنها ، ولا يصحب مخنثا ولا كذابا ، ولا ممن يخيّر نفسه عليك او يزدريك ، ولا ممن يقاتل عن نفسه ولا يقاتل عنك ، ولا ممن لا يجود بنفسه في الحرب ويؤثرك بالحياة ، وما اعز هذا !! وما امز هذا !! وما امز هذا !! . وبالله لا يقول قائل هذا لم يوجد ، ولا يحلف قيائم ، ويكون كانه مطل الاسم الوهاب ، وكم في الارض المباركة من حاتم لا يعرف ! وعنترهو عن الخلائق بمعزل : وحبر قد اشتغل عن الملاهي بالاهم ، وصاحب سلاح تحسبه عاريا ، بل والله حقيقة هو عار ، (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون)(١٥٩) . وقد قيل :

واذا صحبت فاصحب ماجدا ذا حياء وعفاف وكرم
قوله للشيء لا ان قلت لا واذا قلت نعم قال نعم

قال ابو الصلت ابن عبدالعزيز الاندلسي(١٦٠) :

الطرق شتى وطرق الحق واحدة والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا تدري مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق حياد

وقال ـ رحمه الله ـ :

وقائلة ما بال مثلك خامل اانت ضعيف الراي ام انت عاجز؟
فقلت لها ذنبي الى القوم انني لما لم يحوزوه من المجد حائز
وما فاتني منهم سوى الحظ وحده واما المعالي فهي عندي غرائز

ومن جزئيات ما يلزم الجندي ، ما يحكيه القن : ان الجند في الحقيقة هم نواب الملك ـ اعني الجند المشار اليهم لا ما يرى اليوم ـ من ان جماعة ركبوا الخيل ، ولبسوا لباس الاجناد وهم من جملة السوقة ، واصحاب المهن الرذيلة ، فعلى ولي الامر ردعهم واعطاء اخيار بيت المال غيرهم من المستحقين، واذا لم يفعل ذلك ولي الامر اثم .

ومن الشروط اللازمة للجندي ان يكون له اعمال تختص به ، الاشتغال بالعلوم على تنوعاتها والاوراد على تفاصيلها ، واجتناب الجلوس على الطرقات الا بحقها كما جاء في الاحاديث النبوية ،

---

(١٥٩) سورة النمل ، الاية : ٨٨ .
(١٦٠) هو امية ابو الصلت الاندلسي : (١٠٦٧ ـ ١١٣٤ م) .عالم اندلسي المولد ، تولى في المهدية ، له كتاب «الادوية المفردة» و « رسالة في الموسيقى » . (المنجد في الاعلام) .

ثم الاشتغال بالرياضية البدنية المنوطة بالاعمال الحربية بعد العلم والاشتغال على الشيوخ المبصرين بمواقع الحروب وعلم ما لعله يحدث ؛ فان الحروب قد آن وقتها ، ونحن معاشر الجند ذاهلين غافلين عما يراد منا ولا شيخ منا يستيقظ ، ولا شاب منا يسترجع ، فمن يعش فسيرى امورا مهولة عن قريب صادرة . وليذكر نكتا من مناقب ذوي المروءات من اهل الشيم الكريمة . روي عن خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ قال : (انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة اسياف وبضعة عشر رمحا فما بقي في يدي غير صفيحة يمانية صبرت في يدي) .

وروي : ان عكرمة ترجل يوم اليرموك لما اشتد الامر فقاتل قتالا شديدا حتى قتل ، فوجدوا فيه بضعة وسبعين بين طعنة وضربة ورمية .

وذكر : ان ثابت بن قيس قاتل في ذلك اليوم وصابر فقطعت رجله فسقطت في الارض ، فاخذها ورمى بها قاتله واستشهد ـ رضي الله عنه ـ .

وفي تلك الحروب قاتلت ام عمارة الانصارية حتى اصيبت يدها ، وفيها يومئذ اثنا عشر جرحا ، وروي : انها اتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يا رسول الله !! ما ارى كل شيء الا للرجال ، وما ارى النساء يذكرن !! فانزل الله تعالى : (ان المسلمين والمسلمات ..)(١٦١) . وذكر في كتاب « حياة القلوب »(١٦٢) : ان بعضهم طعن فخرجت مصارينه فردها في بطنه من اعلى قربوس السرج ، وشد بطنه بعمامته .

وفي غزوة القادسية حضرت الخنساء بنت عمرو بن الشريد ومعها بنوها اربعة رجال ، فقالت لهم : (يا بني انكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذي لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد ، كما انكم بنو امراة واحدة ، ما خنت اباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية)(١٦٣) .

وكتب ابو بكر لخالد بن الوليد ـ رضي الله عنهما ـ : (اعلم ان عليك عيونا من الله ترعاك وتراك فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ، ولا تغسل الشهداء من دمائهم ؛ فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة) ولبعضهم :

ومن يخشى اظفار المنايا فانما لبسنا لهن السابغات من الصبر

حكاية عجيبة صحيحة :

لما حض منصور بن عمار(١٦٤) ـ رحمة الله عليه ـ على الغزو ، طرحت امراة رقعة قرىء منها :

---

(١٦١) وتمام هذه الاية : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما » . سورة الاحزاب ، الاية : ٣٥ .

(١٦٢) « حياة القلوب » : ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ثلاثة كتب بهذا الاسم ، الاول : في التصوف لمحمد بن الحسن الاسنائي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ .
والثاني : في الموعظة للشيخ بني وفيق عبدالباري بن طورخان السينوبي الواعظ ، وفرغ من تاليفه في بلدة «ادرنة» التركية سنة ٩٢٦ هـ .
والثالث : في الموعظة ايضا للشيخ جمال الدين حسين بن الخضري ، الفه سنة ٩٥٨ هـ . (كشف الظنون ، ج٢ ، ص ٦٩٨) .

(١٦٣) والمشهور من تمام هذه الوصية : (... من الدار الفانية ، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فاذا رايتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت نارا على اوراقها فتمموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها ، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة) .

(١٦٤) هو ابو السري منصور بن عمار البغدادي ، اشتهر بمجالس وعظه وبليغ كلامه وزهده وغزارة علمه ، توفي ببغداد

رايتك يا عمار تحض على الجهاد فقد القيت اليكذؤابتي ، ولست والله املك غيرها ، فبالله !! الا جعلتها قيد فرس لغاز في سبيل الله ، فعسى اللهان يرحمني ؛ فاربَعَ المجلس بالبكاء .

قال سيف بن ذي يزن لانوشروان حين اعانهبوهرز الديلمي ومن معه : ايها الملك !! اين تقع ثلاثة الاف من خمسين الفا ؟! فقال : يا اعرابي اكثير الحطب يكفيه قليل النار ، ورد في حديث (الخير في السيف ، والخير مع السيف ، والخيربالسيف) .

ووصف رجل سيفا : حسام [...] ماضكانه من الله في قبض النفوس رسول واوصى امير المؤمنين علي بن ابي طالب ــ كرم الله وجهه ــ ابنالحنفية حين اعطاه الراية : تزول الجبال ولا تزول، عَضَّ على ناجذك ، اعزك الله ، جمجمتك تدفن فيالارض ، قد يبصرك اقصى القوم ، وغض بصرك ، واعلم ان النصر من عند الله !!..

وقال بعضهم : الشجاع محبيب حتى الىعدوه ، والجبان مبغض [حتى] الى امه .

لما اقبل كسرى « هرمز » لمحاربة « بهرام »قال له صاحبه : اما تستعد ؟! قال : عدتي ثباتي ، واصالة رايي ، ونصل سيفي ، ونصرة خالقي !!.

قال اعرابي : السيف ظل الموت ، والرمحرشا المنية ، والسهام رسل الهلاك .

قيل لعباد بن الحصين ، وكان من اشجعالناس : في اية جنّة تحب ان تلقى عدوك ؟ قال : في اجل مستاخر !.

ومن ملح الوصايا في الاصطفاف ، قال بعضهم: اصطفوا كجناح العقاب الكاسر ، وشدوا شدة الضيغم الحادر فما ثنوا اعنة الخيل ، ولا كفّواسنتهم حتى هزم القوم . وليختم الكتاب بوصية نافعة منوطة بعلوم حربية مانعة ، ويذكر بمعجزةمحمدية بارعة ، وهي وصية الامام علي ــ كرم الله وجهه ــ يوم صفين(١٦٥) : « معاشر المسلمين !!استشعروا الخشية ، وتجلببوا السكينة ، وعضوا على النواجذ فانه انبى للسيوف عن الهام ، واكملواللأمة ، وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل سلها ؛ والحظوا الخزر ، واطعنوا الشزر ، ونافحوا بالظبا،وصلوا السيوف بالخطا . واعلموا انكم بعين الله ، ومع ابن عم رسول الله ، فعاودوا الكرّ واستحيوامنالفرّ فانه عار فيالاعقاب ؛ ونار يوم الحساب».

ومن المعجزات النبوية المحمدية : ان رسولالله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اعطى عبدالله بن جحش ــ رضي الله عنه ــ يوم احد عسيبا من نخل، فرجع في يده سيفا .

وقد انتهى الورد لاتم المقاصد بعون اللهوتاييده والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف الخلق ، المختتم بدعوته ، المؤرخ بهجرته ، وعلى آلهوعترته ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

سنة (٢٢٥ هـ/٨٣٩ م) ودفن في مقبرة باب حربوجواره ابن الجوزي وبشر الحافي والخطيب البغدادي . انظر تاريخ بغداد ، للخطيب : ج ١٣ ، ص ٧١ ــ ٧٤) .

(١٦٥) « شرح نهج البلاغة » للشيخ محمد عبده : ج١ ، ص١١٠ ، خطبة رقم (٦٢) . « النواجذ » ــ جمع ناجذ ، وهو اقصى الاضراس . ولكل انسان اربعة نواجذ ، وهيبعد الارحاء . واذا عضضت على ناجذك تصلبت اعصابك وعضلاتك المتصلة بفمافك فكانت هامتك اصلب واقوى على مقاومة السيف ، فكان انبى عنها ، وابعد من التاثير فيها .

و «الهام» ــ جمع هامة ، وهي الراس .

و « اللامة » ــ الدرع . واكمالها ان يزاد عليها البيضةونحوها . وقد يراد من اللامة : آلات الحرب للدفاع ، واكمالها على هذا : استيفاؤها .

و « الخزر » ــ محركة ــ النظر ، وهو علامة الغضب ،و « الشزر » ــ بالفتح ــ الطعن في الجوانب يمينا وشمالا .

و « نافحوا » : اي كافحوا وصاربوا . و « الظبا »ــ بالضم ــ جمع ظبة ، وهي طرف السيف وحده . و «صلوا» اي : اجعلوا سيوفكم متصلة بخطا اعدائكم .

فهرس الموضوعات

المقدمة ـ المؤلف ـ مؤلفاته ـ وصف نسخة المخطوطة ـ نسخ المخطوطة .

[النص]

١ ـ علم التصرف بالاسماء الالهية .
٢ ـ علم سر الحروف .
٣ ـ علم العدد .
٤ ـ ما يكتب على البيض وقت الحرب .
٥ ـ معرفة القواعد الشرعية .
٦ ـ انتقاء المضمرة من الخيل .
٧ ـ اعداد القوة .
٨ ـ ما يكتب على السهام .
٩ ـ ما يكتب لخراب الحصون .
١٠ـ ما يكتب لحفظ الفرس ولانهزام العدو .
١١ـ ما يقال في الاسفار .
١٢ـ ما يقال في انهزام العدو .
١٣ـ صور ترتيب المقاتلة من الفرسان .
١٤ـ حكمة السلطان وتبصره بمقاتليه .
١٥ـ في مرتكبي الذنوب والجرائم .
١٦ـ الكشف عن احوال الجند .
١٧ـ في سياسة قتال الافرنج في البحر .
١٨ـ ادوات لقتال وحال لمقاتلة .
١٩ـ الخصال المثلى في قائد المقاتلة .
٢٠ـ ما تعتمده رماة النشاب .
٢١ـ السهام الرائشة .
٢٢ـ نعت القسي .
٢٣ـ كيفية وضع الخوذة على الراس .
٢٤ـ حال المقاتلة وقت الحرب .
٢٥ـ نعت اصناف الخناجر .
٢٦ـ الزراقة وصناعة الزرق .
٢٧ـ اجناس التراس .
٢٨ـ من المزلات القبيحة .
٢٩ـ من مستلزمات المقاتل .
٣٠ـ في اقتناء الكتب وفضلها .
٣١ـ الخرزة الهندية .
٣٢ـ الاطلاع على انواع تعابي الجيوش .
٣٣ـ نعت المتثبت وذي المجلة في الحرب .
٣٤ـ من يبدا بالقتال ؟ .
٣٥ـ العدول عن الحرب والتماس الصلح حماية لامن المجتمعات .
٣٦ـ ذكر القبضة على مقبض القوس والعقد على الوتر .
٣٧ـ من فنون الرمي بالقوس .
٣٨ـ ادعية فتح الحصون .
٣٩ـ عدة خيل النبي صلى الله عليه وسلم .
٤٠ـ في اختصار علم الثقافة .
٤١ـ حركة المقاتل على فرسه .
٤٢ـ وقت الاحتياج لمباشرة الرمح في التشديدات .
٤٣ـ التخصص بمعرفة الثقافة بالسيف .
٤٤ـ صناعة الجندية .
٤٥ـ الخصال التي يحتاجها الفارس .
٤٦ـ التبصر في انتقاء الجيد من السلاح والفرس .
٤٧ـ تاديب الخيل وتدريبها .
٤٨ـ الاعتناء بعلف الخيل .
٤٩ـ الاعتناء بصحة الخيل وتاديبها وتعاهد ركوبها .
٥٠ـ اتخاذ الجنن الواقية .
٥١ـ معرفة طرق الرهان وعلم التعبئة .
٥٢ـ تعاهد الرمي على الخيل .
٥٣ـ التزود من السهام الحربية والموقي بالتروس العدة .
٥٤ـ فنون الضرب بالسيف واتخاذ ما يناسبه من الخيل .
٥٥ـ نعت المقاتل بمكارم الاخلاق .
٥٦ـ صحبة القريب واتخاذ اللباس الواقي في الحروب .
٥٧ـ الادوية اللازمة لاسعاف الجرحى في الحروب .
٥٨ـ الجهاد سبيل المؤمنين .
٥٩ـ المواظبة على الرياضات مع تنوع الالات .
٦٠ـ نعوت اخرى في مكارم الاخلاق .
٦١ـ اعتماد بعض فنون الرمي .
٦٢ـ عدة عقود الرماية والعلم بها .
٦٣ـ من لوازم الاجناد النحلي بالمثل والقيم الدينية

مراجع التحقيق

١ ـ البداية والنهاية ، لاسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، مط . السعادة بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .

٢ ـ التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول ، للشيخ منصور علي ناصف : الجزء الرابع ـ كتاب الجهاد ـ نشر دار احياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان . ط الثالثة (١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م) .

٣ ـ تاريخ بغداد ، لابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ، مط السعادة بالقاهرة سنة (١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م) .

٤ ـ تاريخ الطبري الموسوم « تاريخ الامم والملوك » لابي جعفر محمد بن جرير الطبري ، المتوفى سنة ٣١٠ هـ . مط . مصطفى البابي الحلبي ، بالقاهرة سنة (١٣٧٢ هـ / ١٩٥٤ م) .

٥ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعيان مذهب مالك ، للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، المتوفى سنة ٥٤٤ هـ . تحقيق الدكتور احمد بكير محمود . ط بيروت سنة ١٩٦٧ م .

٦ ـ الجهاد ، للامام الحافظ المجاهد عبدالله بن المبارك ، المتوفى سنة ١٨١ هـ . تحقيق نزيه حماد ، الناشر دار التود ـ بيروت سنة (١٩٧١ م / ١٣٩١ هـ) .

٧ ـ حياة الحيوان الكبرى ، للشيخ كمال الدين الدميري ، نشر دار القاموس الحديث للطباعة والنشر ، بدون تاريخ .

٨ ـ الرحمة في الطب والحكمة ، للامام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١ هـ ، مط ، المعارف العلمية بمصر ، بدون تاريخ .

٩ ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة الشريفة ، لمحمد بن جعفر الكتاني ، المتوفى سنة ١٣٤٥ هـ . ط . كراتشي سنة (١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م) .

١٠ـ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ـ كتاب الجهاد ـ للحافظ محي الدين ابي زكريا يحيى بن شرف النووي ، سنة ٦٧١ هـ . مط . الاستقامة بالقاهرة ، بدون تاريخ .

١١ـ سجل المخطوطات في مكتبة المجمع العلمي العراقي ، ويتضمن معلومات وافية عن كل مخطوط اودع خزاناتها .

١٢ـ سيرة ابن هشام ، نشر كتاب التحرير ، القاهرة سنة ١٣٨٣ هـ .

١٣ـ شرح نهج البلاغة ، للشيخ محمد عبده ، مط . الاستقامة بالقاهرة ، بدون تاريخ .

١٤ـ صحيح البخاري ، لمحمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي ط . دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .

١٥ـ صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج القشيري ، المتوفى سنة ٢٦١ هـ . ط . دار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنة (١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م) .

١٦ـ الطبقات الكبرى ، لعبدالوهاب بن احمد بن علي الشعراني من اعيان القرن العاشر الهجري . مط . مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة (١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م) .

١٧ـ العقد الفريد ، لابي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ، الطبعة الثالثة ، نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان سنة (١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م) .

١٨ـ عيون الاخبار ـ كتاب الحرب ـ ، لعبدالله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ . مط . دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٦٠ م .

١٩ـ فقه اللغة وسر العربية ، للامام اللغوي ابي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي . مط . الاستقامة بالقاهرة سنة (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م) .

٢٠ـ القاموس الاسلامي ، لاحمد عطية الله ، ثلاثة اجزاء .

٢١ـ قاموس المحيط ، للفيروز ابادي .

٢٢ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، لمصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة . ط . استانبول سنة ١٥٩١ م .

٢٣ـ الكفاية في الطب ، لابي الحسن علي بن رضوان بن علي ابن جعفر ، المتوفى سنة (٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) ، تحقيق الدكتور سليمان قطاية . منشورات وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية سنة ١٩٨١ م .

٢٤ـ مجلة العسكري العراقية ، العدد ١٤ سنة ١٩٦٩ م .

٢٥ـ المختار من صحاح اللغة .

٢٦ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، وضع محمد فؤاد عبدالباقي ، دار احياء التراث العربي بيروت ـ لبنان .

٢٧ـ المنجد في اللغة والاعلام ، الطبعة العشرون .

٢٨ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ليوسف بن تغري بردي الاتابكي الطبعة الاولى بدار الكتب بالقاهرة سنة (١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م) .